محاضرات في

الإعلام والرأي العام





تأليف

الدكتور ضرغام الدباغ



محاضرات في الإعـلام والـرأي العـام

الطبعـة الأولـى

1437هـ - 2016م



الأكاديميون للنشر والتوزيع

المملكة الأردنية الهاشمية

عمان – مقابل البوابة الرئيسية للجامعة الأردنية

تلفاكس : 0096265330508

جـوال : 00962795699711

E-mail: academpub@yahoo.com

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية

(2015/1/302)

رقم التصنيف: 302.2

المؤلف ومن في حكمه:

ضرغام عبدالله

الناشر

الأكاديميون للنشر والتوزيع

عمان – الأردن

عنوان الكتاب:

محاضرات في الإعلام والرأي العام

الواصفات:

/الإعلام//الرأي العام/

- يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى .

- يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي شركة الأكاديميون للنشر والتوزيع .

ISBN : 978-9957-590-29-1

محاضرات في الإعـلام والـرأي العـام

تأليـف

الدكتور ضرغام الدباغ



الأكاديمون للنشر والتوزيع

المقدمة

بين أيدي القراء مجموعة من المحاضرات التي ألقيت على طلبة كلية العلوم السياسية في الدراسات الجامعية الأولية، والدراسات العليا، وطلبة الدراسات الدبلوماسية. وقد وجدنا من المفيد جمعها بين دفتي كتاب واحد لغرض الاستفادة منها بشكل واسع النطاق ومفيد قدر الإمكان.

أن المحاضرات هي في إطار دراسة أهمية الإعلام والرأي العام وما يتصل بهما من موضوعات صلة مباشرة. وقد استقينا هذه المحاضرات من مصادر علمية رصينة، وقد يجد الطالب، أو القارئ تعريفات وتوصيفات شتى في الإعلام والرأي العام، إلا أنها تصب جميعها في قناة واحدة، ونجد من المفيد للطلبة أو القراء الإطلاع على شتى المذاهب والآراء، ففي ذلك إحاطة أكثر شمولية بموضوعة هامة كموضوعة الإعلام والرأي العام.

الإعلام قد يكون القناة السليمة من أجل إيصال الحقائق لأوسع قدر ممكن من الجمهور، وإحاطتهم علماً بوسائل متقدمة: بالكلمة المكتوبة، والمذاعة، والمصورة أو بالصوت، وهناك أساليب كثيرة يتفنن فيها الإعلامي البارع في ابتكار الوسيلة الأسهل، والأبسط والأضمن في إيصال ما يريد إيصاله للجمهور، بطريقة ناجحة ليكسب الجمهور فيما يريد إيصاله.

وبالطبع فإن طريقة إيصال المعلومة تتفاوت بين طبيعة المعلومة، وطبيعة الجمهور المتلقي، وعلى الإعلامي أن يستوعب هذه المبادئ ويختار الأسلوب الأكثر نجاحاً، وهنا يتعين على الإعلامي أن يكون متخصصاً عارفاً لدقائق

المهنة، وإلا فقد تأت أعماله عكس المطلوب، فيخسر الجمهور إذا كانت دعاية ببغائية تتعامل مع الجمهور وكأنه يقدم جرعات من مادة يصعب هضمها وقبولها وبالتالي الاقتناع بها. وقد يكون هناك اقتناع شكلي ولكن هذا سرعان ما سيتلاشي عند ظهور أو خيط من النور يكشف زيف الإعلام الغبي الذي يتصور الجمهور كتلة خرسانية، أو أسفنجة قابلة لامتصاص أي مادة تقدم لها.

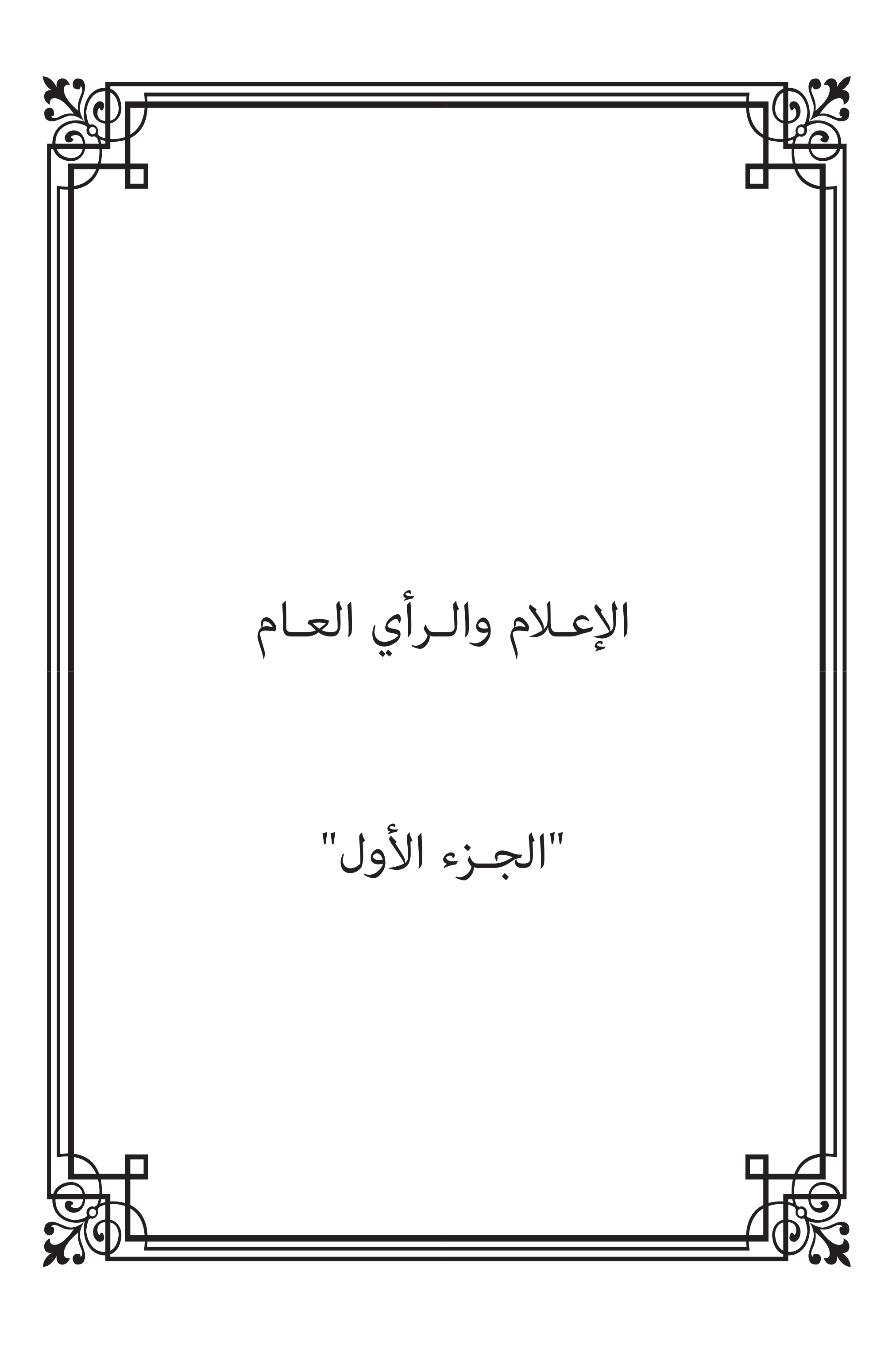
الإعلام الموجه يمكن أن يفرز نتائج إيجابية إذا أبتعد عن الدوغماتية (Dogmatic) سلاحاً فتاكاً والتبريرية، وعبادة الفرد الفتشية (Fetishism) والترويج للسلطة الفردية، ومن إيجابيات الإعلام الموجه، أنه يبتعد عن مقاصد الأرباح، أو إشاعة ثقافة مفسدة، تؤدي إلى شيوع ثقافة ضارة بالأجيال الصاعدة.

الرأي العام، أو الجمهور المتلقى والمتصفح للإعلام هي كتلة هائلة، وفي أعلام عصرنا الراهن المتجاوز للحدود القومية، البعيد عن أي شكل من أشكال السلطات، الروحية والعائلية والقانونية / السلطوية، فبينما كان الإعلام في مطلع القرن العشرين يقتصر على الإعلام المطبوع، ثم ظهر الإرسال الإذاعي (Audio broadcasting) وكان أول إذاعة بثت برامجها لأول مرة عام 1906، ولم ينتظم الإرسال الإذاعي بشكل فعال ومؤثر إلا في الثلاثينات من القرن الماضي. ولكن العقود التالية كانت جبارة في منجزاتها الناجمة عن تقدم خيالي في العلوم، فغدا إلى جانب الإعلام المطبوع، الإعلام المسموع، ثم ومنذ الأربعينات الإعلام المرأي بواسطة التلفاز إضافة إلى السينما التي مثلت بالإضافة إلى كونها من وسائل الفن، مثلت قناة إعلامية أيضاً.

بيد أن التقدم الحاسم تمثل بتطور جهاز الكومبيوتر الذي أخترع في الأربعينات، وتواصل تقدمه، حتى دخل الخدمة في البيوت كجهاز شخص يسهل اقتناؤه واستخدامه، والخطوة التالية كانت في الإنترنيت حيث أمكن بهذه الوسيلة أن يضع الفرد العالم بين يديه فيتجول بين ملايين المواقع وبلغات شتى(أكثر من 30 مليون موقع حتى عام 2000)، يطالع ما شاء له من الموضوعات والأفكار دون حسيب أو رقيب، وليتحول فن إيصال المعلومات، والأفكار إلى حرفة هي بحاجة حقاً إلى دراسات معمقة وتخصصات شتى.

هذا الكتاب الذي نضعه لبن أيدي القراء من الطلبة بدرجة أساسية، هو عبارة عن محاضرات ألقيت في أوقات مختلفة على طلبة الدراسات الجامعية الأولية (بكالوريوس) والدراسات العليا (الماجستير والدكتوراه)، فضلنا أن نجمعها بين دفتي كتاب واحد ليكون بسهولة بأيدي الطلبة في كل مكان.

نتمنى للجميع دراسة موفقة وناجحة لخدمة الثقافة العربية



الإعـلام والـرأي العـام

"الجـزء الأول"

أولاً: أوصاف الرأي العام

بعض التعريفات لمفهوم الرأي العام:

جون ستيوارت ميل: إن رضا المجتمع (أو قطاع مهم منه) أو سخطه، هو الشيء الرئيسي الذي قرر عملياً القواعد التي وضعت لكي يراعيها الجميع والتي يرتب القانون أو الرأي العام الجزاء على مخالفتها.

و. ويلبي: إذا تحدثنا عن سيادة الشعب، فإننا لا نقصد أكثر من سيادة الرأي العام، وهي تلك القوة (الأخلاق السياسية) التي تعرف بأنها: شعور وعاطفة المجتمع التي يتحتم عدم إمكان مقاومتها والتي تظهر قوتها في كل مكان، والقوة التي تعطي لنص القانون وروحه، ويدونه لا يكون القانون المكتوب إلا مجرد قشرة، فالسيادة قد انكمشت إلى فهرس مؤثرات.

الجمهور:

قد يدل الجمهور كإسم على أي روابط فضفاضة لأفراد تجمع بينهم مصالح مشتركة أو قاعدة ثقافية مشتركة ووسائل آلية مختلفة من الاتصال.

وقد تتضح بعض معالم الجمهور الأخرى بمقارنته مع الحشد، فالحشد أيضا هو اجتماع أفراد مؤقت وغير منظم نسبياً.

ولا يحتاج أفراد جمهور ما إلى الصلة، فهم يجتمعون معاً بحكم الأمر الواقع الخاص بباعث مثير أو مصلحة يفترض أنها مشتركة مع آخرين.

دور الفرد:

قد يغير الفرد طابع عضويته في الجمهور، فبعد أن كان شبه مراقب سلبي، يتحقق انتماؤه إلى جماعة أكثر استكمالاً لقوامها ذات هدف ثابت. ولا يعني القول إن هذا الفرد لا يستطيع أن يستمر عضواً في جمهور معني بمسألة ما، ولكن دوره بالنسبة لهذا الجمهور سيتغير بالتأكيد، إذ يصبح مدافعاً لا مراقباً، بل قد يتحول إلى مؤثر في أعضاء آخرين من نفس الجمهور.

الرأي العام:

ولندرك معنى الرأي العام، سنقوم بفحص كل تعبير على حدة، فكلمة عام تشير إلى المصالح أو الشؤون التي يشترك نوعاً ما في الاهتمام بها كل الأعضاء البالغين في جماعة أو أمة.

ويعني الرأي عقيدة، أو اقتناعا أكثر قابلية للإثبات، واشد قوة من مجرد إحساس أو انطباع، ولكن أقل ثباتاً وقوة من العلم الإيجابي الممكن إثباته، وهكذا يميز بين الحقيقة والرأي، فإذا وضعنا نصب أعيننا معنى هاتين الكلمتين، فإن الرأي العام قد يعرف بأنه المعتقدات والاقتناعات أو أراء الأفراد عن أمور ومسائل واسعة الانتشار أو عن مصلحة عامة أو شأن عام.

المجتمع الوطني والدولة:

يميز في الوقت الحاضر معظم أصحاب النظريات السياسية والاجتماعية، وعلى الأقل أولئك الذين ينتمون إلى التقليد الأنكلو ـ أمريكي بين المجتمع، بمعنى المجتمع الوطني، والدولة. فينظرون إلى الأول(المجتمع الوطني) على أنه الفكرة العامة التي تكبر الدولة بكثير والتي تشمل الجميع.

الأبعاد الأساسية للرأي العام:

إذا استخدمنا طريقة القطع العرضي في الوصف والتحليل، نلاحظ أن للرأي العـام أربعـة أبعاد أساسية هي:

- التوجيه
- المدى
- القوة أو الشدة
- العمق

- فالتوجيه خاص يكـون الفـرد موافقـاً أو معارضـاً، راضـياً أو سـاخطاً عـلى رأي معـين، والمدى خاص يضيق المسائل العامة التي تنـاقش في وقـت معـين. والشـدة تتصـل بـالقوة التـي تعكس بدورها مظاهر المواقف الانفعالية للرأي المعبر عنه بالكلام، والعمق خاص بتثبيت الـرأي تثبيتاً غائراً في عواطف الفرد وقوانينه الخلقية وقيمـه. وينـدر أن نجـد في الواقـع هـذا الأسـاس للرأي الـلـهم إلا في نطاق العمل نفسه أو بالتحليل الدائب الطويل لجذور وآراء ومواقف الفرد.

القوى المحركة لتكوين الرأي العام:

معالجة القوى المحركة للرأي العام يجب أن تعنى على الأقل بثلاث صور رئيسية:

1. إثارة المسألة.
2. المناقشة حول المسألة والحلول المقترحة تأييداً ومعارضة.
3. الوصول إلى أتفاق.

والرأي العام يبدأ في إثارة مشكلة عامة معينة، وما دامـت الأمـور ملتزمـة حدود العرف والعادة، فإن الاتفاق العام كما يقرره القـانون والأسـاليب المرعيـة

والإجماع يستمر. ولكن بمجرد بروز مسألة عامة، فإن عمليات تكوين الـرأي تتحـرك. وبالتحليـل يمكن الاقتصار على تميز مرحلة المناقشة لتكوين الرأي العام بثلاثة معالم.

فهناك عادة مرحلة تحضيرية للمناقشة تتكـون غالبـاً مـما هـو أكـثر قلـيلاً مـن محاولـة لتعريف المسألة موضـوع المناقـشة والتحـدث عـن الأمـل في حلهـا، فـإذا أنقـضى بعـض الوقـت والمناقشة مستمرة، يقترح من يعنيهم الأمر حلولاً مختلفة، وغالباً متباعدة.

أما بشأن وسائل حل المشكلة المعروضة، فإن خلافات حادة قد تثور بل أنها عـادة تثـور فعلاً وفي هذه المرحلة تصبح عناصر الخلاف، كما تصبح عنـاصر الاتفـاق أكـثر وضـوحاً، وعنـدما يأزف الوقت ننتقل إلى مرحلة ثالثة للمناقشة.

وربما كانت الاستفتاءات والاستبيانات للرأي العام عن طريق جمع آراء النـاس، هـو أدق المقاييس غير الرسمية لتبين أتفاق الرأي العام.

الرأي العام في ظل الحكومات المطلقة:

سؤال قد يطرح نفسه: هل يوجد رأي عام في المجتمعات التي تحـت سـلطة الحكومـات المطلقة والفردية ؟ وبقدر ما تكون المناقشة وحل المسائل العامة حيوياً لبلد مـا، فمـن الواضـح أن الطبقة الخاصة الحاكمة التي على قمة هرم السلطة هي التي تستأثر بهما.

الجماهير تحت الأنظمة المطلقة:

أما بشأن جماهير الشعب الواقعـة تحـت سـيطرة الطبقـة الحاكمـة، فـإن آرائها وعواطفها قد تتفاوت في التأثير على الخاصة الحاكمة، ونحن نعلم أن لدى

الطغاة الدهاة الوسائل للتعرف على اتجاه وقوة التنبؤات الـشعبية في الـشعور والفكـرة. ولكـن الحكومات الديكتاتورية (لأنها تسيطر على وسائل الإعلام الجماعي) تـستطيع أن توجـه مجـرى الحقيقة وتزخرفها للجماهير بطريقة تؤثر في أرائها وقيمها.

تشخيص الرأي العام:

يتجه التفكير إلى الرأي العام طبقاً لهذا التصور الخيالي، على أنه نـوع مـا مـن كـائن مـع الناس أو فوقهم، وهناك يعبر عن رأيه في مختلف المسائل كلما نشأت. إن (صوت الـرأي العـام) أو (الضمير العام) هما تعبيران مجازيان من هـذا النـوع، وقـد نـشأ مـن التفكـير في رأي أبدتـه مجموعة من الناس في وقت ما، ورأي آخر أبدته نفس المجموعة في وقـت آخـر، وعندئـذ فـرض استمرار نوع من المبدأ الروحي بين الرأيين.

تشخيص الجمهور:

والتصور الخيالي المتصل بذلك هو الذي يتمثل في تصور كائن جماعـي روحـي ينطبـق لا على عملية الرأي نفسها، وإنما على الجمهور الذي يعتنق هذا الرأي.

الضلال في تشخيص الجمهور جماعياً:

وما لا يدركه العقل، وإن تساوى مع عدم قابليتـه لقواعـد النقـد، هـو مـا تعارف عليه أولئـك الـذين ينبـذون فكـرة الكيـان الجماعـي أو عقـل الجمهـور، ذاهبين إلى أنهم عندما يقولون الجمهور فإنما يعنون الأفـراد، ولكـنهم مـع ذلـك

يستمرون على استخدام هذه الجمل (الجمهور يريد كذا وكذا) أو (صوت البلد لصالح منع المسكرات).

ضلال المضمون الجزئي في استخدام تعبير "الجمهور":

وبتطبيق ما سبق من نقد على وجه أخص يبرز هذا السؤال ماذا نعني بالجمهور ؟ أهو شعب تعينه حدود جغرافية وجماعة وسلطة شرعية سياسية، أو غير ذلك من الحدود ؟ أم أنه مجرد مجموعة من الناس داخل منطقة معينة لهم مصلحة مشتركة ؟ فالتعبير في المثل الأول شامل شمولاً كاملاً، أي أنه يستخدم ليتضمن من كل فرد في المنطقة، جسمه وعمليات وظائف أعضاء هذا الجسم(الفسيولوجية) وحاجاته إلى جانب آرائه المختلفة، وردود الفعل عليه.

تخيل القدرة الفكرية للكيان الجماهيري:

وصورة أخرى غير علمية من صور الحديث عن الرأي العام نلتقي بها أحياناً في الاستعمال الدارج، وحتى في الأدب تبرز قوام الرأي كنوع من عنصر مثل (فكرة أفلاطونية) موزع على عقول كل أولئك الذين يعتنقونه، والتعبير بأن رأياً معيناً(عام)يصور استخدام هذا التعبير.

نتاج الجماعة أو النظرية البارزة:

الرأي العام طبقاً لها ينظر إليه كنتاج جديد يبرز من مناقشة متكاملة في جماعة، نتاج تفكير فردي متحد يختلف عن كل من متوسط الآراء أو إجماع الآراء، وعن رأي أي فرد معين على حدة.

النظرية التقريظية:

أولئك الذين يميلون إلى عد الرأي العام نتيجة بارزة لمناقشة الجماعة يحملـون مـضمون نظريتهم شوطاً أبعد، ناظرين إلى هذه النتيجة، لا على أنهـا تختلـف عـن ثمـرات العقـول التـي تعمل فردياً ولكن على أنها أسمى طرازاً.

نقد النظريتين البارزة والتقريظية:

يدعو النقد إلى بعض الإيضاحات الدقيقة، فمن المسلم به أنه في البدايـة عنـدما يـشترك فرد في مناقشة مع آخرين، فإنه غالباً ما يصل إلى نتائج تختلـف عـن أيـة نتيجـة كـان يمكـن أن يصل إليها إذا أنفرد بالتفكير، والغرض الذي يجب أن تحترس تجاهه باعتبار أنه لا يمكـن تناولـه بطريقة البحث العلمي هو أن الناتج البارز شيء يطفو على السطح في الفضاء وهو أكثر انـتماء إلى عقل الجماعة منه إلى رد الفعل الخاصة بالأفراد.

الخلط بين الرأي العام والعرض العام للرأي(التضليل الصحفي):

يجب أن يضاف إليها المقياس الذي يحكم بـه عـلى وجـوب اعتبـار مـضمون رأي معـين رأياً(عاماً) أي أنه مسلم به على نطاق واسع، وهذا هو الوهم القائم عـلى أن العبـارة أو الفقـرة التي يراها الواحد منا مطبوعة على أنها (رأي عام) أو التي يـسمعها الواحـد منـا في الخطـب أو إذاعات الراديو على أنها (إعلام عام) أو (شعور عام) الوهم القائم على أنها حقاً لها هذا الطـابع من أهمية سعة الانتشار واعتناق الناس لها.

النقاط المتفق والمختلف عليها بين العلماء:

إن الظاهرة التي ندرسها تحت تعبير الرأي العام هي بصفة جوهرية أمثلة على السلوك تصدق على الأوضاع التالية:

1. أنها سلوك الأفراد الآدميين.
2. أنها تشمل التعبير بالكلمات.
3. أنها تمارس بواسطة أفراد كثيرين(أو يعبر عنها هؤلاء الأفراد بالكلمات).
4. أنها تستحث وتوجه بواسطة ونحو غرض أو وضع عام معلوم.
5. الغرض أو الوضع الذي يعنيها يهم الكثيرين.
6. أنها تمثل العمل أو الاستعداد للعمل طبقاً للموافقة أو الاعتراض على الغرض العام.
7. أنها تمارس غالباً بوعي، فالآخرون يتفاعلون بالنسبة لنفس الوضع بأسلوب مشابه.
8. المواقف والآراء التي تتضمنها يتم التعبير عنها، أو على الأقل فإن الأفراد على أهبة التعبير عنها.
9. الأفراد الذين يمارسون هذه الأشكال من السلوك أو الذين نظموا لممارستها قد يفعلون ذلك في حضور الواحد منهم مع الآخر أم لا (وضع الرأي العام بالنسبة للحشود).
10. قد تشمل مضمونات شفوية ذات طابع دائم أو مؤقت تكون مادة أساسية وراثية للطائفة الدائمة و(انحيازا حاضراً) للطائفة المؤقتة.
11. أنها تتلاءم مع طبيعة الجهود الحالية لمعارضة شيء أو إنجازه: أكثر من ملائمتها المستمرة للسلوك المستقر(ظاهرة الرأي العام متعارضة مع القانون والعرف)

12. لأنها جهود نحو أغراض عامة فإن لها غالباً طابع التنـازع بـين الأفـراد المنحـازين إلى الجوانب المتعارضة.
13. أن لهـا مـن القـوة الكافيـة ووفـرة العـدد كمظـاهر سـلوك مـشتركة بحيـث توجـد الاحتمال بأنها قد تكون فعالة في تحقيق غرضها.

تعبير الرأي العام:

إن تعبير الرأي العام قد أعطى معناه بالنسبة إلى وضع خاص بأفراد عديـدين يعـبر فيـه الأفراد عن أنفسهم، أو قد يدعون للتعبير عن أنفسهم بالرضى أو التأييـد(الـسخط أو المعارضـة) وقد يكون هذا التعبير عن حالة معينة أو عن شخص أو عن اقتراح ذي أهمية واسـعة الانتـشار في نسبة من أعداد الناس وبشدة ومثابرة تكفل الاحتمال في القيـام بعمـل مـؤثر مبـاشر أو غـير مباشر لتحقيق الغرض المعني.

طبيعة الرأي العام:

هو مجموع ما يفكر فيه الناس أو يقولونه عن شأن ما، وفي أحيان أخـرى إلى مجـرد آراء الغالبية أو طراز معين من التفكير أو الحـديث عـن هـذا الـشأن يـسود عـلى غـيره، وإن أبـسط الأشكال التي يبدو فيها الرأي العام هي حين ينطلق شعور ما تلقائياً من شفتي الرجـل العـادي لدى مشاهدته أمراً ما أو سماعه به.

ولكن قبل أن يبدأ الرأي العام بالتكون حول حكومة مـا يجـب أن يمـر بمراحـل عديـدة، وهذه المراحل تختلف باختلاف العصور والبلاد، والمراحل باختصار هي:

1. انطباعات تكونت أثر وخز اللحظة الأولى.
2. وعلى ذلك يبدأ أي عقل من العقول العادية، الذي كان حتى ذلك الوقت مائعاً وغير مستقر في التبلور والتماسك.
3. يتضح الأنصار والخصوم ويبدو أثر تعرض الآراء في نقل الأنصار من كل جانب، بعد أن يثبت ضعف بعض حججهم في المناقشة، إلى الجانب الآخر الذي يرون أن حججه قوية، وفي أن يستقر كل في جانب من الجانبين.
4. حين يتبين أن العمل أصبح واجباً فإذا طلب المواطن أن يصوت، فإنه يصوت كعضو في حزب.

النظرية الديمقراطية:

النظرية الديمقراطية الصحيحة تزعم أن كل مواطن قد فكر في بعض الآراء المعينة، أو أنه يجب أن يفكر بها، أي أنه يجب أن يكون له رأي محدد تدعمه الحجج، فيما يحتاج إليه البلد وعن المبادئ التي يجب تطبيقها في حكمه وعن الأشخاص الذين يجب أن تسلم إلى أيديهم مقاليد الحكومة، ولكن يكفي أن نحاول تجربة التحدث إلى هذا الممثل للرأي العام الذي يسميه الأمريكيون (الرجل في السيارات العامة) لكي نتبين كم تتشابه الآراء بين جميع طبقات الشعب، وكم تندر الآراء التي تتسم بالاستقلال التي كان يجب توافرها لدى كل فرد إذا كان حقاً كونها لنفسه.

إن كل القضايا السياسية والاجتماعية الكبرى تقريباً قد شقت طريقها وسط الطبقات المتوسطة أو الأكثر تواضعاً، فالباعث الأصلي الذي دفع القضية إلى الحركة والأفكار الموحية التي جذبت الناس إليها ثمرة عقول ناضجة ثاقبة، وهي بصفة عامة عقول الطبقات المثقفة.

الحكومة بالرأي العام:

عندما نتحدث عن الرأي العام كقوة جديدة في العالم لم تبد للعيان إلا منذ بدأت الحكومات في أن تصبح شعبية، وكان الساسة حتى وقت قريب منذ جيلين ينظرون إليه ببعض الشك والسخط.

ويعتبر الإيمان بالسلطة وحب النظام المستقر هما من اشد القوى في الطبيعة البشرية، وبالتالي في السياسة، فالأول يدعم الحكومات الشرعية والثاني يدعم الحكومات التي تستند إلى الواقع.

والرأي العام في الأشكال المبكرة أو البسيطة للمجتمعات السياسية يكون سبياً، فهو أميل إلى الرضا بالسلطة القائمة منه إلى تأييدها مهما تكن أخطاؤها.

ونقدم هذه الملاحظات بغرض الإشارة إلى شكل آخر من أشكال الحكم قد يمارسه الشعب، فقد ميزنا بين ثلاث مراحل لتطور الرأي من حالته اللاواعية السلبية إلى حالته الواعية الإيجابية.

ففي الحالة الأولى: يذعن لإرادة الحاكم الذي أعتاد أن يطيعه.

وفي الحالة الثانية: تنشب المصادمات بين الشخص الحاكم أو الطبقة الحاكمة بتأييد من أولئك الذين لا يزالون على استعداد للطاعة في جانب، وذوي الروح الأكثر استقلالاً أو أكثر تقدماً في الجانب الآخر، وهذه المصادفات يحسمها السلاح.

وفي المرحلة الثالثة: يكون الحاكم السابق قد خضع وأحيلت المنازعات إلى الشعب صاحب السيادة الذي يعبر عن إرادته في فترات على بطاقات من الورق تودع في صناديق، ويتولى تنفيذها الوزير أو الهيئة التشريعية التي صدرت لها وكالة من الشعب.

ويمكن الوصول إلى مرحلة رابعة إذا أصبح من الممكن التحقق من إرادة غالبية المواطنين في أي وقت دون الحاجة إلى التماس هذه الإرادة عن طريق هيئة من ممثلي الشعب، وربما دون الحاجة إلى نظام تصويت على الإطلاق.

تعريف الجماعة:

الجماعة: هي مجموعة منظمة من الناس.

والجمعية: هي جماعة منظمة تنظيماً دقيقاً.

والطائفة: هي هيئة ذات تنظيم أدنى.

والمجموعة من الناس التي يتعاون كل فرد فيها مع الآخر تعاوناً آلياً لا تكون جماعة، كما لا تعد جماعة إذا تكونت بمجرد الاشتراك في مجموعة من الناس التحقق من معرفة الآخر إذا لم يتوافر لها أشكال كاملة مختلفة للعمل، فالعمال المهرة مثلاً قد يتعارفون ولكنهم لا يكونون جماعة إلا بعد أن تتكامل أعمالهم على أساس ذلك التعارف الوثيق.

وقد تبدي الجماعات قدراً متفاوتاً من التعاون والتضامن بشرط أن يكون كلاهما قد وصل إلى درجة معينة من النضج.

تعريف:

الرأي في جماعة هو مطلب أو أمل يحتمل الجدل داخل الجماعة، والاتفاق، هو الرأي الذي لم يعد يحتمل جدلاً.

والمجموعة التي تعتنق رأياً ما يزيد احتمال أن يتحقق التعاون بين أفرادها كلما زادت حدة الجدل حول هذا الرأي وكلما بان أن هذه المجموعة هي أقلية، وكلما صغرت الأقلية، زادت أهمية التعاون على جعل رأيها مؤثراً.

تعريف:

يتكون الجمهور من الأشخاص في الجماعة الذين لهم أو يتوقعون أن يكون لهم رأي ما، والرأي العام هو توزيع الرأي في جمهور ما.

والرأي العام يشمل كل الآراء التي تعتنقها القطاعات المختلفة في الجمهور موضوع البحث.

تعريف:

الحشد يتكون من أشخاص في جماعة يعبرون عن أتفاق في رأي ما.

جماعة مصلحة:

هي مجموعة من الناس نظموا أنفسهم لتحقيق هذه المصلحة، وكل الجماعات قد تعد جماعات مصلحة ما دامت جميعها تنطوي على مطالب(بالتفضيل إن لم يكن بالتحتيم) وآمال.

جماعة مصلحة خاصة:

هي تلك التي في الواقع أو طبقاً لأملها الخاص، يفوق تحقيق مصلحتها في الأهمية تحقيق مصالح أو تلك الذين خارج الجماعة.

جماعة مصلحة عامة:

هي الجماعة التي لها إلى حد كبير مصالح أخرى غير المصالح الخاصة.

الحكومة:

ـ كل شخص يهتم بسلامته وسعادته أكثر من اهتمامه بسعادة وسلامة الآخرين، لذلك فهو مستعد أن يضحي بسلامة الآخرين إذا تعارضت مع سلامته، ومنها ينشا الميل إلى حالة التعارض العام بين شخص وآخر تعارضاً مصحوباً بانفعالات الشك الحسد والغضب والثأر تعقبها القسوة والتزوير التي ما لم توقفها سلطة مهيمنة، فإنها ستنتهي إلى حالة من النفور والحيرة تحطم النظام الاجتماعي وإلى أسوء العواقب، وهذه السلطة المهيمنة أينما منحت وأي كان من يمارسها هي الحكومة.

ويتبع ذلك أن الإنسان قد جبل على أن الحكومة ضرورية لوجود المجتمع، وأن المجتمع ضروري لوجوده لإكمال مواهبه، ويتبعه أيضاً أن الحكومة تستمد أصلها من هذا التكوين المزدوج للطبيعة البشرية: المشاعر الإنجذابية أو الاجتماعية التي هي العنصر النائي من ذلك التكوين، والعنصر الفردي أو المباشر، وهو السبب الملازم للإنسان.

ـ وبرغم أن المجتمع والحكومة مرتبطان بقوة، وكل منهما يعتمد على الآخر، فإن المجتمع أعظم الاثنين، فهو الأول في ترتيب الأشياء، وفي شرف غايته، فالغاية من المجتمع وهي (غاية رئيسية) حفظ جنسنا وإكماله، والغاية من الحكومة(وهي غاية ثانوية وتبعية) حفظ المجتمع وإكماله، وكلاهما مع ذلك ضروري لكيان جنسنا وخيره، وكلاهما من السنن الإلهية.

ـ ولما كان الدستور متأصلاً في نفس المبدأ الذي تقوم عليه طبيعتنا، فإن الدستور يتمسك بالحكومة كما تتمسك الحكومة بالمجتمع، ولما كان الغرض منه تنظيم المجتمع، فإن هذا المجتمع ينهار بدون حكومة، كما أنه لما كان الغرض منه تنظيم الحكومة، فإن هذه الحكومة تنهار إلى حد كبير بدون دستور.

ـ إن المحافظة على النفس هو القانون الأعلى بالنسبة للمجتمعات والأفراد على السواء، ومن هنا يبدو الخطر من سحب التحكم التام في السلطة وفي موارد الدولة من الحكومة، كما تبدو الصعوبة الكبيرة في الحد من سلطاتها الكافية لحماية المجتمع والحفاظ عليه، لذلك يعود السؤال: بأي وسيلة يمكن منع حكومة من إساءة استعمال سلطاتها بدون سحب كامل تحكمها في جميع موارد المجتمع ؟

لا توجد إلا وسيلة واحدة ربما يمكن بها تحقيق ذلك، وهو نظام يوفق المحكومين لإمكانات مقاومة اتجاه الحكام إلى الجور والعسف، فالقوة لا يمكن أن تقاومها إلا القوة، والانحراف إلى أنجاه معين لا يمكن أن يقاومه إلا ميل إلى اتجاه مضاد.

ـ إن حق الاقتراع وحده لا يستطيع أن يفعل أكثر من أعطاء الناخبين رقابة كاملة على المنتخبين، وهو بذلك يستنفذ كل ما في إمكانه أن يؤديه.

ـ إذا كان جميع أفراد المجتمع لهم نفس المصالح، بحيث أن مصالح كل فرد وكل فريق تتأثر بعمل الحكومة، وأن القوانين التي تظلم فريقاً أو تفقره لا بد أن تظلم جميع الآخرين وتفقرهم(أو بالعكس)، وإذا صح هذا الفرض، فإن حق الاقتراع وحده يكفي تماماً لمقاومة انحراف الحكومة إلى الجور والعسف في سلطاتها، وبطبيعة الحال يكفي لتكوين حكومة دستورية كاملة.

ـ للدستور المكتوب مزايا عديدة وهامة، ولكن من الخطأ الكبير أن نفرض أن مجرد إدراج مواد تقيد وتحد من سلطات الحكومة بدون أن تخول أولئك الذين أدرجت هذه المواد لحمايتهم الوسائل التي تمكنهم من فرض احترامها، ومن الخطأ الكبير أن نفرض أن هذا سيكون كافياً لمنع الحزب الأكبر والحاكم من إساءة استعمال سلطاته.

ـ وتقسيم الحكومة إلى إدارات منفصلة أي مستقلة كل منها عن الأخرى، لا يمنع هذه النتيجة، فمثل هذا التقسيم قد يسهل أعمالها ويضمن لإدارتها قدراً أكبر من الحيطة والتأني، ولكن ما دامت كل إدارة من هذه الإدارات على حدة ومجتمعة، وبطبيعة الحال الحكومة بأكملها إنما هي تحت رقابة الغالبية العددية، فإن من الواضح وضوحاً لا يحتاج إلى تفسير، أن مجرد توزيع سلطات هذه الحكومة على وكلائها وممثليها لا يجدي إلا قليلاً.

ـ ومن المؤكد أن السلطة المنفردة هي التي تستبعد حق الاعتراض وقيم حكومة مطلقة، والحكومات الدستورية تتشابه فيما بينها في التكوين والطابع أكثر من شبهها (كل على حدة) للحكومات المطلقة حتى التي تنتمي إلى طبقتها.

ـ ولكن الحكومات المطلقة بجميع إشكالها تستبعد كل وسائل المقاومة الأخرى لسلطتها إلا وسيلة القوة، وبطبيعة الحال لا تترك للمحكومين خياراً إلا الخضوع للجور مهما عظم، أو اللجوء إلى القوة لخلع الحكومة.

ـ أما حكومة الغالبية الائتلافية، فعلى العكس عندما يكتمل نظامها تستبعد احتمال الجور بإعطاء كل مصلحة أو قطاع، أو هيئة(حيث توجد طبقات مستقرة) الوسائل لحماية نفسها بتخويلها أن تقف موقفاً سلبياً، أي حق الاعتراض ضد كل الإجراءات التي يقصد بها ترجيح المصالح الخاصة للآخرين على حسابها.

العوامل الاجتماعية المحددة للرأي العام

ـ الثقافة:

إدراك بسيط نسبياً، ولكنه في نفس الوقت معقد تعقيداً شديداً، أنه تعبير شامل لكل نماذج السلوك التي تم اكتسابها اجتماعياً وتم تناقلها اجتماعياً، أنه الصورة الخلفية للحقيقة أن الناس في جماعة معينة أو في مجتمع معين يميلون إلى أن يتفاعلوا تفاعلاً متشابهاً أما لنفس البواعث المثيرة.

ـ لنحاول أن نختار أنماط الثقافة المؤثرة في المثل السابق، وهي بحسب الظاهر أربعة:

1. **نمط مجتمعي**: الآراء الدينية العامة وغيرها من التقاليد والقيم الخلقية وشعاراته.
2. **نمط جماعي**: الآراء الدينية والسير الشعبية وأساليب الحياة المألوفة في مختلف الجماعات.
3. **نمط شخصي**: الآراء الدينية الشخصية وغيرها من الممارسات والعواطف الشخصية التي يبديها في حياته العائلية وفي الكنيسة.
4. **نمط ذاتي**: المواقف والعواطف الواعية والمكبوتة، أو غير الواعية التي يتمسك بها بشأن المسائل الدينية وما يتصل بالدين.

ـ الجماعة:

لا ينظر إلى الجماعة على أنها فكرة مبتورة الأطراف، كما يحتمل أن يمحي استخدام هذا التعبير في هذه النقطة، فالجماعة هي كل مجموع من شخصين أو أكثر من الناس لهم نوع من مصلحة أو مصالح متشابهة، والذين يشتركون معاً في تفاعل اجتماعي بالتساوي ودياً فيما بينهم أو بنسب مفهومة.

ـ الطبقات الاجتماعية:

هي فصيلة أو أكبر من الناس يتجه الاعتقاد إلى أنهم من مرتبة اجتماعية تتفاوت علواً وانخفاضا، وطبقاً لذلك يضعهم أعضاء الجماعة في تلك المرتبة، وأعضاء طبقة ما يميلون إلى التزاوج فيما بينهم، ولكن قيم المجتمع تسمح بأن يكون هذا الزواج بين مستويات متفاوتة. والنظام الطبقي يشترط أيضاً أن يكون للطفل المولود نفس الوضع الاجتماعي الذي لوالديه، كما أن النظام الطبقي

يوزع الحقوق والمزايا والواجبات والالتزامات بغير مساواة بين المنتمين إلى مراتبه الـدنيا والعليـا، وقد تتواجد عدة طبقات في مدينة واحدة متقدمة.

ـ الطوائف:

أكثر حرصاً على الدقة في تعـين الحـدود بـين الطبقـات، فهـي تحـرم الـزواج مـن خـارج الطائفة، وأعضاؤها يتمسكون بنماذج أخرى بالتبادل مع أعضاء طائفة أو طوائف أخرى.

ـ التقاليد:

هي أنماط مثالية للتفكير والسلوك نشأت عقب فترات طويلة من الزمن خـلال عمليـات التعميم والتسويغ العقلي من النماذج التي تحترمها الجماعات والطبقات والطوائف وغيرها من قطاعات المجتمع الأخرى، وتعدها مثالية.

وقد تبدو هذه التقاليد في أسلوب يزعم أنه قاطع جازم، ولكنها تتميز بأنها عامة وبراقة سواء من جهة الشعار أو التصوير، وبأنها مطلقة غير محددة إشارة إلى إمكان السماح بإلغاء مـا يقضي التسويغ العقلي بإلغائه منها في نطـاق الحـدود العريـضة لمـا يظهـر مـن معارضـة لهـا أو تناقض معها.

ـ وأهمية القيم الخلقية الرئيسية هي:

1. صياغة المثل الذاتية العليا للشباب.
2. وصف الواجهات المجتمعية للأوضاع والجمعيات
3. تزويد الدعاة باللوازم الرئيسية لعملهم كالفضائل البراقة والعموميات الخاصة

ـ **إن دور القيم الخلقية**: وتعريف الوضع الاجتماعي هما الشعاران لما يجب أن تكون عليه تلك الأدوار والأوضاع، أنه الواجهات البراقة للآمال المجتمعية التي تغطي بصفة عامة المنظمات البشرية والعاملين الذين يمارسون مختلف الأعمال.

ـ **إن القيم الخلقية**: وهي الآراء المركزية أو التقاليد المتكاملة على المستوى المجتمعي للثقافة، يتطلع إليها أعضاء مجتمع ما على أنها المقدمات أو الفروض المنطقية الرئيسية العريضة للمناقشات والأعمال على مستوى مجتمعي.

ـ **المستوى الجماعي**: إن السير الشعبية وأساليب الحياة المألوفة اجتماعياً، هي التعبيرات التي تقابل التقاليد والقيم الخلقية على المستوى المجتمعي، والسير الشعبية تتضمن آراء جمهور معين كما تتضمن التقاليد أراء الجمهور.

ـ **المستوى الشخصي:**

يقصد بمستوى الثقافة الشخصي، الإشارة إلى الأدلة الخارجية التي يقدمها شخص ما عن شخصيته وممارسته المعتادة وعواطفه.

ـ **المستوى الذاتي**: إن الذات هي دائماً ذات اجتماعية(ذات مرآة)، وقد تختص بثلاثة عناصر رئيسية:

* تصور مظهرنا في نظر الشخص الآخر.

* وتصور حكمه على هذا المظهر.

* ونوع من الشعور الذاتي كالزهو أو الزهد.

الأسئلة:

1. تحدث عن طبيعة الرأي العام.

2. **الجماعة والجمعية والطائفة:** عرف كل منها وتحدث عن واحدة.

3. ما هي الحكومة، تحدث عنها وأنواعها.

4. ما هي العوامل الاجتماعية المحددة للرأي العام.

5. أهمية القيم الخلقية ومستوياتها.



الإعـلام والـرأي العـام

" الجـزء الثانــي "

التفسير النفسي الأساسي للإشاعة

الإشاعات زمن الحرب:

تدعو الضرورة الملحة إلى معالجة الإشاعة أثناء الحرب، وتتيح ظروف الحرب أخصب الإمكانات لنشر الإشاعات، ونحن نعلم الآن أن الإشاعات بشأن أمر ما ستنتشر بين جماعة ما بنسبة أهمية هذا الأمر لأفراد هذه الجماعة وغموضه في نظرهم.

فالقضايا في الحروب بسبب خطرها المحتمل لكل فرد وعواقبها المباشرة المتمثلة بالتعبئة العامة، تؤثر على كل فرد، كما أن هناك قدراً من الغموض يعتري الموقف.

ـ وبالإضافة إلى إشاعات الخوف، هناك أيضاً مزيد من محصول الإشاعات العدائية التي كانت دائماً تضرب على نغمة التقصير في أداء الواجب والخيانة أو عدم الكفاءة إلى جماعة معينة من المشتركين في المجهود الحربي.

ـ أصناف الإشاعات:

تصنيف الإشاعات ودرجة قوتها(كمثال الولايات المتحدة عام 1942)

إشاعات عدائية: 66%

إشاعات الخوف: 25%

إشاعات الرغبة(التمني): 2%

إشاعات غير مصنفة: 7%

ـ أسباب انتشار الإشاعة:

إيجاز الأسباب هي: تنتشر لأنها تخدم الممارسة المتلازمة لتفسير التوترات الانفعالية التي يشعر بها الأفراد والتفريج عنها.

ولوم الآخرين شفاهاً ليس وسيلة لتفسير ضيق الفرد الانفعالي فحسب، ولكنه في نفس الوقت وسيلة للتفريج، وكل منا يعرف هدوء النفس الذي يعقب إفاضة اللسان بتقريع ما، ولا يهم إلا قليلاً ما إذا كان من وجه إليه هذا التقريع يستحقه أم لا.

ـ معالجة تجريبية:

إذا تركنا الآن التركيب الاجتماعي العريض للمشكلة، فإننا نسائل أنفسنا عن عمليات العقل الإنساني التي تعلل ما يستحق النظر من تشويهات ومبالغات تتدخل في عملية الإشاعة وتقود إلى إلحاق مثل هذا الضرر البليغ بإدراك الشعب وبوعي الشعب.

ـ التجارب:

أجريت تجارب عديدة في الولايات المتحدة على فئات مختلفة في سماع ورؤية أخبار وأحداث وملاحظة فهمها وأساليب نقلها، وعلى أساسها قام الخبراء بتكوين نظرية في طريقة انتقال الأخبار.

ـ التسوية:

عندما تنتقل الإشاعة تميل إلى أن تصبح أكثر إيجازاً وتركيزاً وأيسر استيعاباً ورواية، وكلما تعاقبت الصيغ، قلت الكلمات التي تعبر عنها كما قلت

التفاصيل التي يشار إليها عند روايتها. ولا تـصل التـسوية(في التجـارب الأمريكيـة) قـط إلى حـد الطمس الكلي، وتدل:

1. الرواية المركزة يمكن غالباً تناقلها بأمانة.
2. إذا ما أصبحت الرواية مـوجزة ومركـزة فـلا ينطـوي موضـوعها إلا عـلى قليـل مـن التفاصيل يختار منها وتقل بعد إمكانيات التسوية.
3. يصبح العمل من السهولة بحيـث أن ذاكـرة مـا يفـترض أن تحفـظ الروايـة بمجـرد التكرار (الصم/ الحفظ) تكفي لحفظ هذه الرواية.

وفي جميع الحالات، فإن الروايات الختامية وما قبل الختامية أكثر تشابهاً من أية روايات أخرى.

ـ الشحذ:

قد نعرف الشحذ بأنه الإدراك الاختياري والحفظ والرواية لعدد محـدود مـن التفاصـيل من سياق مجموعة أكبر من تلك التفاصيل. والشحذ (بلا محالـة) يتبـادل المعونـة ويـشترك مـع التسوية فلا يستطيع أحدهما أن يوجد بدون الآخر، لأن القليل الـذي يبقـى مـن الإشـاعة بعـد إجراء التسوية لا يمكن بالعكس تفادي تصويره ووصفه.

والحجم النسبي من العوامل الموجهة أيضاً، لانتباه المستمع، فالأجسام أو المرئيـات التـي اشـتهرت بـسبب حجمهـا تنـزع إلى أن تعيهـا الحافظـة وتـشحذ، فـأول روايـة يوجـد الانتبـاه إلى شـهرتها ويتـأثر كـل مـستمع عـلى التعاقـب بـضخامتها فيتطـرق إلى شـحذ هـذا الأثـر في ذاكرته، فالزنجي الضخم قد يصبح(في الروايـة) أربعـة زنـوج، أو قـد يـصبح تمثـالاً هـائلاً لأحـد الزنوج.

والتفسيرات التي يضيفها الراوي إلى الوصف الذي سبق أن روى له يتضمن شكلاً نهائياً للشحذ، فهذه التفسيرات تمثل إتجاها إلى وضع (إطار) للخبر الذي يبدو أنه ناقص بدونها وهي تصور(البحث عن المعنى) الذي يلازم عادة الشخص الذي يجد نفسه في وضع غير ثابت.

ـ الاستيعاب:

من الواضح أن كلا من التسوية والشحذ عمليتان اختياريتان، ولكن الذي يقوده إلى طمس بعض التفاصيل، وإبراز البعض الآخر، وكيف تفسر كل التنقلات والإستيرادات والتمويهات التي تطبع سير الإشاعة ؟ والجواب على ذلك في عملية (الاستيعاب) التي تتصل بالقوة المؤثرة لا الجذابة التي تمارسها(على الإشاعة) العادات والمصالح والعواطف التي يضمها عقل المستمع.

ـ التتابع الملائم

وتنتج تمويهات أخرى من محاولة تكملة صور ناقصة أو وملئ الثغرات في المجال المثير، ويتجه الجهد مرة أخرى هنا إلى جعل النتيجة الإجمالية مترابطة وذات معنى، وهكذا تقرأ الكلمات المكتوبة على لوحة دار من دور السينما: تحوير الاسم بما يجعله سريع اللفظ والحفظ.

ـ الاستيعاب بالتركيز

يبدو أحياناً كما لو أن الذاكرة تحاول ألا تحمل إلا أقل عبأ ممكن. مثال ذلك: بدلاً من تذكر فقرتين، فإن من الأوفر إدماجهما في فقرة واحدة.

ـ مماثلة الاستيعاب مع التوقع

وكما تتغير التفاصيل أو تستورد لكي تدعم الفكرة البسيطة التي يحتفظ بها المستمع في ذاكرته، فإن كثيراً من الفقرات تتشكل بحيث تساند عادات العميل في التفكير، فإدراك الأشياء بالحواس وتذكرها إنما يتم بالطريقة التي اعتادت عليها.

ـ مماثلة الاستيعاب مع العادات اللغوية

ويغلب أن يكون التوقع مجرد ملائمة موضوع ثم إدراكه بالحواس وتذكره مع شعارات مطبوعة من قبل في ذهن الفرد مثل (الكليشهات) تمارس تأثيرا قوياً في إخضاع الإشاعات للعادات المرعية.

ـ الاستيعاب الذي يشتد الباعث عليه

مع أن ظروف تجاربنا لا تعني عناية كاملة بالاتجاهات الانفعالية التي تشمل القيل والقال والإشاعة والفضيحة، فإن هذه الاتجاهات ذات أهمية ملحة إلى حد أنها تعبر عن نفسها حتى تحت الظروف المعملية.

ـ مماثلة الاستيعاب مع المصلحة

يحدث أحياناً أن صورة تتضمن ثياباً نسائية، كأحد التفاصيل التافهة في المسرح الأصلي للموضوع، تصبح عند تناقلها بالرواية خبراً مقصوراً على الثياب دون غيرها، ويحدث هذا النوع من الشحذ عندما تروى الإشاعة جماعات من النساء، ولكنها لا تحدث قط عندما يرويها الرجال.

ـ مماثلة الاستيعاب مع الرأي المبصر المتحيز

ولو أنه من العسير في وضع تجريبي أن نحصل على التشويهات الناتجة من الحقد، إلا أن المادة التي لدينا تنطوي على فرصة معينة لتعقب التعقيد ألعدائي للمواقف العنصرية.

ـ عملية الترقيد

إن التسوية والشحذ والاستيعاب ليست حركات آلية منفصلة، فهي تمارس عملها في نفس الوقت وتعكس عملية فريدة تبرز شخصية الفرد تنتهي بالتمويه الذي يعد من أكثر الخصائص تميزاً للإشاعة، وإذا أردنا أن نلخص ما يحدث في كلمات قليلة لجاز لنا أن نقول أنها تركز على شخصية الفرد فحسب.

الكتب والمكتبات ووسائل الإعلام الأخرى

يعيش أكثر من نصف عدد الراشدين من الشعب على بعد كيلومتر ونصف من المكتبات العامة(حسب المقاييس الأوربية والأمريكية)، ومع ذلك لا يزور إلا 10% منهم المكتبة خلال سنة واحدة، وأقل من ذلك للمترددين أكثر من مرة واحدة، وهذا يشير إلى إهمال بالغ.

ـ جمهور قراء الكتب:

إن نصف الراشدين من أفرد الشعب(الولايات المتحدة) تقريباً لا يقرأ كتباً على الإطـلاق، والكثير منهم لا يقرأ إلا القليل، ونسبة ضئيلة تقرأ الكثير من الكتب.

ـ إحصائية:

تلقي هذه الإحصائية الضوء على موقف القراءة عند الشعب الأمريكي عام 1950.

48% لم يقرأ كتاباً قط في حياته

18% قرأ من كتاب إلى 4 كتب

7% قرأ من 5 إلى 9 كتب

18% قرأ من 10 إلى 49 كتاب

7% قرأ من 50 كتاب أو أكثر

2% من القراء لم يثبت رأيه

وفي المتوسط تقرأ النساء من الكتب أكثر مما يقرأ الرجال، والشباب أكثر ممن يكـبرونهم سناً.

ـ استخدام وسائل إعلام أخرى:

وقراءة الكتب ليست النوع الوحيد من أنواع القراءة، فكثير من النـاس الـذين لا يلقـون نظرة على أي كتاب يحصلون على الإعلام من الصحف والمجلات، كما أن القـراءة ليـست مـصدر الإعلام الوحيد، فالوسائل العامة كثيرة كالإذاعة والتلفزيون والسينما والخطب.

ـ قراءة الصحف والمجلات:

يقرأ معظم البالغين سن الرشد من الأمريكيين الصحيفة كل يوم، إذ يقرأ 80% من الراشدين الصحف اليومية، وتتساوى في ذلك النسبة بين الرجال والنساء، والجامعيون ليسوا أكثر من غيرهم(إشارة إلى شعبية الصحف) وهناك الكثير ممن لم يتم الدراسة يواضب على قراءة الصحف.

ومطالعة المجلات هي أقل من مطالعة الصحف، وقد أستخدم الاستفتاء تعريفاً للاستفتاء: أي المجلات تطالعها بانتظام ؟وتضمنت الأجوبة كافة المجلات بما في ذلك مطبوعات الكنيسة، ومجلات الجماعات الخاصة، و7 من كل عشرة يطالعون مجلة بانتظام.

ـ النشريات الحكومية:

يقرأ نحو نصف البالغين من أهل المدن النشرات الحكومية، وتزيد النسبة للنصف بين سكان الأرياف والمدن الصغيرة.

(نكرر للعلم أن الإحصائية في الولايات المتحدة عام 1950)

ـ سماع الإذاعة:

يستمع نحو ثمانية من عشرة إلى الإذاعة لمدة ساعة واحدة يومياً على الأقل، والبعض(خاصة النساء) يتركن الراديو مفتوحاً بدون انقطاع، والاستماع إلى الإذاعة شائع بين الفئات المهتمة بالتربية، مع وجود أنماط من الاستماع، إلى أنواع البرامج الترفيهية أو التربوية والثقافية. وفي جميع الأحوال فالإذاعة تقدم مادة إعلامية ذات أهمية قصوى لكثير من المستمعين.

ـ الخطب العامة والمحاضرات:

يستمع نصف البالغين إلى الأحاديث من الراديو، ولكن أقل من الخمس من يذهب لسماع المحاضرات.

ـ مشاهدة السينما:

يتردد نحو ثلثي البالغين (في الولايات المتحدة) إلى دور السينما مرة شهرياً على الأقل، ونصف البالغين مرتين شهرياً، مع وجود 12% لا يذهبون قط إلى السينما.

ـ المكتبات والإعلام:

المكتبة العامة في المجتمع هي مركز يتاح فيه الإعلام للجمهور، وبذلك فهي جزء من النظام الشامل للوسائل التي يبث الإعلام بواسطتها.

ـ وسائل الحصول على إعلام معين:

يعتمد الناس على الخبراء كمصدر للإعلام، وخاصة عندما ينشد هؤلاء الناس جواباً على سؤال يغلب عليه الطابع العملي.

56% : استشارة مهنية صباغ، نجار ..الخ

14% : الاعتماد على الخبرة الخاصة

13% : سؤال الأصدقاء

9% : الرجوع إلى المجلات

6% الرجوع إلى الكتب

2% : الرجوع إلى المكتبة

ـ المسلسلات الإذاعية:

(شاعت في الخمسينات وما بعدها)

لقبت بمسلسلات الصابون لتفاهة محتواها، ولكنها كانت واسعة الانتشار بوصفها الأكثر إثارة، ولكنها كانت مسرفة في السخافة والركاكة، والإخراج الفني التجاري يتجه نحو الهبوط بالمستوى الثقافي.

ـ البيان:

لكي تحصل على بيان خاص بتحليل واف يمكن استخدام الإذاعات الحالية أو الأشرطة التي سجلت عليها إذاعات سابقة أو النصوص الأصلية للمسلسلات.

البيئة الاجتماعية

ـ المكان:

هل يقع اختيار المسلسلات الإذاعية على المراكز الكبيرة في الحياة العصرية كمسارح لمغامرات شخصيات تلك المسلسلات، أم أنها تفضل المدن الصغيرة أو القرى ؟ وهل تطلب من أبطالها أن يهربوا من المجتمعات المدنية الآهلة إلى العزلة؟ الجدول يشير إلى مسرح حدوث المسلسلات:

مدن كبيرة : 8 مسلسلات

مدن متوسطة وصغيرة : 16 مسلسل

مجتمعات ريفية: 4

مزيج من حضر وريف: 5

أماكن بين مدن كبيرة وصغيرة: 5

حالات أخرى: 5

فالمدن المتوسطة والصغيرة ترجح المدن الكبيرة، و10% فقط مـن جميـع الحـالات دارت حوادث المسلسلة في مجتمع ريفي.

ـ الحالات الاجتماعية للشخصيات الرئيسية:

ما هي الصور الخلفية الاجتماعية للناس الذين تقدمهم المسلسلات الإذاعية ؟ أثريـاء أم فقراء ؟ أم هم أفراد تميزوا بمقام ونفوذ اجتماعيين أم أنهم يمثلون الشعب العـادي؟ إن الجـدول التالي يوضح المراكز التي تشغلها مجموعة الشخصيات الرئيـسية التـي تـدعم عقـد المسلـسلات الإذاعية

أهل المجتمع الراقي: 19%

كبار الموظفين: 21%

كبار رجال الأعمال: 33%

المهنيون: 73%

ربات البيوت: 65%

صغار رجال الأعمال: 31%

أصحاب المرتبات: 19%

المعوزون: 6%

ـ القادة:

تولى أهمية كبيرة إلى صفة القيادة في المسلسلات الإذاعية، ففي 30 مسلسل من مجموع 48 أي في 62، 5% منها يوجد مثل أولئك القادة بـين الشخـصيات الرئيـسية، وقـد أختـير هـؤلاء القادة الذين تميـزوا بـسبب مركـزهم المهنـي، وبـسبب صـفاتهم الشخـصية كالـذكاء ومـساعدة الآخرين والابتكار.

ـ المشكلات:

إن المـضمون القصـصي للعينـات التـي اسـتخدمت في البحـث تتكـون في الغالـب مـن مشكلات خلقتها شخصيات القصص والتمست لها هـذه الشخـصيات حلـولاً، وهـذه المـشكلات تنبت من الإضطرابات الناشئة عن الحياة الراكدة لا من العقبات التي تعـترض تحقيـق أهـداف الحياة.

ـ مضمون المشكلات:

ما هي أنواع المشكلات التي تثير شخصيات المسلسلات ؟

لقد تبين من دراسة البيان، أن هناك تسع طوائف لـذلك المـضمون أدرجـت في الجـدول الذي يوضح عدد المرات التي حدثت فيها كل نوع من أنواع المـشكلات في مجمـوع المسلـسلات الثلاث والأربعين، كما أنه يوضح كيفية توزيع العدد الإجمالي للمشكلات التي تم تعقبها في فترة التجربة على الطوائف التسع للمشكلات.

الجدول مدرجة حسب الأهمية والتكرار:

العلاقات الشخصية: المغازلة / الزواج / الأسرة / الأصدقاء /

اقتصادية ومهنية:

جنائية:

مرض أو حوادث

شؤون عامة:

أنواع أخرى

ـ ما هي أسباب المشكلات:

هل الناس يخلقون المتاعب لأنفسهم، أو أن اللوم عن خلقها يقع على قوم آخـرين ؟ مـا هو الدور الذي تلعبه القوى غير البشرية كالقوى الطبيعية أو العوامل الاقتصادية والـسياسية ؟ أن توزيع مختلف الأسباب موضح في هذا الجدول حسب الأهمية والتكرار:

العلاقات الشخصية: المغازلة / الزواج / الأسرة

اقتصادية ومهنية:

جنائية:

مرضية وحوادث:

شؤون عامة:

أنواع أخرى:

إن مشكلات الحياة تقدمها المسلسلات في إسـهاب عـلى أنهـا مـن عمـل الأفـراد بـسبب تقصيرهم في أداء واجباتهم أو فسادهم لا بسبب أية عوامل اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية.

ـ التقويم الخلقي:

أن ثمـة علاقـة هامـة تبـدو بـين "المـشكلة" التـي تقـدمها القـصة، والتقـويم الخلقـي للشخصيات التي تضمها هـذه القـصة، فهنـاك دومـاً في القـصص طيبـو الخلـق، وسـيئو الخلـق وضعاف النفوس والمشكوك في سلوكهم، وهناك من يخلـق المتاعـب، وهنـاك ضـحايا للمتاعـب، وتظهر الإحصاءات أن الرجال هم خالقوا متاعب أكثر من النساء.

ـ حلول المشكلات:

تتدرج في القصص الخطط الكفيلة بخلق المشكلات لبطل القصة أو يخلقها هو للآخرين، ولكن قلما تصل إلى غايتها، ولكن النجاح على الأغلب هو من نصيب طيبي القلب، أي أن الشرير لا ينجح.

دور الصحيفة اليومية

هناك دائماً الخطر بأن لا يتوافق الرد الشفوي مع السلوك الفعلي بسبب ميل الناس إلى أعطاء شعارات مقبولة رداً على أسئلة تقَص معينة، وقد تأكد هذا الخطر هنا، إذ أتضح من المتابعة الشديدة لسؤال المستجوبين أن كل منهم يعترف بقيمة الصحيفة اليومية كمصدر إعلام(هام)عن عالم الشؤون العامة وتفسيره، ولو أن كل منهم لا يقرأ الصحيفة لهذا الغرض.

ـ خدمات الصحيفة اليومية:

تلعب الصحيفة العصرية أدوراً في حياة قرائها، وقد حاولنا خلال تحليل استجواباتنا المركزة أن نضع قواعد رمزية نمطية (تايبولوجي) لمثل هذه الأدوار أو الوظائف التي تؤديها الصحيفة، ومن الواضح أن الأنماط التي عددناها هنا ولو أنها كل منها مميز وقائم بذاته، إلا أنها لا يستأثر بها حتماً أي قارئ لصحيفة يومية، ومما لا شك فيه أن قراء مختلفين يقرأون أبواباً مختلفة من الصحيفة لأسباب مختلفة، وفي أوقات مختلفة، والمشكلة الرئيسية هي تحديد الظروف التي تؤدي الصحيفة تحتها تلك الوظائف، وربما وظائف أخرى لطرز مختلفة من الناس، وبهذه المناسبة تبرز القيمة الخاصة للاستجوابات التفصيلية مع جماعة صغيرة من الناس في تماثل الفروض التي يمكن إذ ذاك أن تختبر بطريقة أو بأخرى طبقاً لوسائل أقل شدة، وبعبارة أخرى، فإن مثل هذه اللقاءات في الاستجواب

النوعي، توحي بالأسئلة الملائمة التي يمكن إذ ذاك أن توجه في إسهاب أقل بغرض التثبت الكمي.

1ـ الصحيفة كضرورة للإعلام عن الشؤون العامة وتفسيرها:

هناك طائفة من القراء ترى الصحيفة اليومية ضرورة لا غنى عنها كمصدر للإعلام عن العالم الهام للشؤون العامة، وتفسير لما يجري في هذا العالم.

2ـ الصحيفة اليومية مزاولة للحياة:

ويعتبر كثير من الناس أن قراءة الصحيفة اليومية هي مزاولة للحياة، ويستخدمونها كعون مباشر لهم في حياتهم كل يوم.

3ـ الصحيفة للراحة من العمل:

للقراءة قيمة ترفيهية كلما أتاحت راحة من الهموم الشخصية بنقل القارئ إلى خارج عالمه المحيط به.

4ـ الصحيفة لتحقيق مكانة اجتماعية مرموقة:

وهناك فريق آخر من القراء يستخدمون الصحيفة اليومية لتمكينهم من أن يظهروا في الندوات الاجتماعية بمظهر المطلع.

5ـ الصحيفة لتنمية الصلات الاجتماعية:

إن أخبار الصحيفة اليومية التي تعني بالجانب الإنساني والعمود الخاص بالنصائح الشخصية وأبواب القيل والقال، وما شابه ذلك من الأبواب تتيح لبعض القراء ما هو أكثر من التفريج عن همومهم الخاصة وملل حياتهم الرتيبة،

إذ أنها ترشدهم إلى قواعد الأخلاق السائدة في المجتمع وإلى إدراك الحياة الخاصة لشخصيات هذا المجتمع، كما تتيح لهم فرصة تخيل الإسهام بالحلول محل تلك الشخصيات في حياتها والاتصال الشخصي غير المباشر بصفوة المجتمع.

ـ الرغبة في القراءة:

هناك بعض الدليل في الاستجوابات توضح أن القراءة وحدها، بصرف النظر عن المضمون، عمل يدفع إليه بقوة ومتعة باعث ما في المجتمع الريفي، والشيء الرئيسي الذي يحل عادة محل قراءة الصحيفة اليومية بعد انقضاء الوقت المتاح لقراءتها هو شكل آخر من القراءة، ليس له طابع إخباري، ويبدو في أغلب الأحيان أن مضمون هذا الشيء الذي يحل محل الصحيفة قليل الأهمية لدى المستجوبين ما دام أنه (على الأقل كان شيئاً ما أقتل الوقت بقراءته).

ـ خدمة أخرى للصحيفة اليومية:

في سياق البحث يتبادر هذا السؤال: ما هو شأن الصحيفة اليومية ؟ إن هذه الصحيفة هي أقرب مصادر القراءة الرئيسية تناولاً، وهي أيضاً رخيصة الثمن، ومحتوياتها يمكن تعاطيها في أقراص (عدا إمكانيات القراءة الأخرى من مجلات وكتب)، والصحيفة اليومية هي أقرب وأيسر مصدر للترضية المجزية المنبثقة من القراءة ذاتها، بالإضافة إلى ذلك فهناك بعض أسس عامة أخرى لشدة افتقاد الناس للصحيفة اليومية.

ـ أهمية التلفزيون:

تشير حتى إحصاءات الخمسينات، أهمية التلفزيون كموفر للمواد الثقافية والإعلامية للمشاهدين دخل البيوت ولا بد من الاعتراف أنه أزاح بعض من

أهميـة وسـائل الأعـلام الأخـرى، وأنـه يتـصدر سـائر الوسـائل الإعلاميـة الأخـرى، وأهميتـه في تصاعد.

الدعاية السياسية

إن الدعاية السياسية اليوم موجودة في الهواء، لذلك لا مفر من صوتها ولـو صـح أن لهـا نصف الأثر الذي ينسب لها فقط، فأن قوتها تعد هائلة، بل قيل أنها قادرة على تـصميم سـلوك اشد الأفراد غموضاً.

والتطور السريع للاتصالات ووسائلها بـين الأفـراد والمجتمعـات، يعنـي أن كـل التغـيرات السياسية والاقتصادية والثقافية يمكن أن تعالج بسرعة خاطفة، لذلك فإن التطور فـرض تواصـل في العمل من أجل الشرح والتبرير لأعداد متزايدة مـن النـاس، وهـو مـا قـاد إلى انـدلاع رهيـب للدعاية السياسية.

ـ الدعاية:

الدعاية هي محاولة التأثير في الرأي والسلوك، (وخاصة رأي الجماعة وسلوكها) بحيث أن الأشخاص الذين يعتنقون الآراء والسلوك موضوع الدعايـة يفعلـون ذلـك دون أن يبحثـوا بحثـاً محدداً عن أية أسباب دفعتهم إلى اعتناقها، ومع أن انتشار التربية هو أحد الظروف الأولية التي انبثقت منها الدعاية السياسية، إلا أن أهداف هذه الدعايـة تختلـف عـن أهـداف التربيـة وقـد تتعارض معها تعارضاً حاداً.

ـ التربية:

التربية هي الأخرى محاولة للتأثير في التفكير والسلوك والسيطرة عليهما ولكن بحيث أن الأشخاص الذين يفكرون ويتصرفون(طبقاً لتلك التربية) يدفعون إلى محاولة أن يدركوا بأنفسهم لماذا يفعلون ما هم فاعلون.

ـ الدعاية السياسية:

الدعاية السياسية التي يستخدمها الحزب الواحد، يجب أن تخاطب جماعات كبيرة من الشعب، وأن تحاول أن تدفعهم إلى التجانس في الرأي والعمل. ولما كان الهدف العظيم هو الحصول على نتائج وليس (إطلاقاً) تنمية أدراك هذه النتائج أو الحث على إدراكها، فإنه كلما كان خبير الدعاية مخلصاً لعمله سليم النية، كلما كشفت وسائله عن أنه يعد الأفراد الذين عليه أن يتعامل معهم مجموعة بائسة جداً، وأنهم بصفة خاصة على مستوى وضيع من النمو الذهني، وأنهم يجب أن يبقوا على هذا المستوى.

ـ دعاية نظم الاستبداد:

إن أي شكل من أشكال الدعاية مبني(كما هو الشأن لدعاية النظم الاستبدادية) على فكرة امتهان الذكاء العام، وعلى الاعتقاد بتجانس الآراء والمشاعر مقضي عليها بالانهيار التام، لأنها تناقض أعظم أساس لكل خصائص التطور الإنساني.

ـ الدعاية السياسية في النظم الديمقراطية:

استخدمت الدعاية كسلاح من أسلحة الدولة، ولكنها تطورت ونمت في كل مكان وتستخدم كأداة رئيسية في نظام الحزب الواحد، لذلك فإن ذلك لا

يفترض أن يحدث في النظم الديمقراطية التي تختلف عن أشكال النظم الأخرى، بأنها تتضمن على الأقل حزبين رئيسيين يتداولان السلطة ويعامل كل منهما الآخر بقدر كبير من التسامح.

ملحوظة:

من أجل الرجوع إلى التفاصيل والاستطرادات، نرجو ملاحظة : الإعلام والرأي العام.

لمؤلفيه: دانييل كاتز، دوروين كارترات، صموئيل الدوزفيلد، الفريد ماكلنج لي /لمترجمه الدكتور محمود كامل، الصادر في القاهرة ، **1982**.

الأسئلة:

س1: تحدث عن الإشاعات وأصنافها وغاياتها، ثم ركز على الإشاعات زمن الحروب.

س2: تحدث عن الشحذ والاستيعاب، ودرجات الاستيعاب.

س3: تحدث عن وسائل الإعلام المقروءة والمرئية والمسموعة.

س4: ما هي المشكلات التي يعالجها الإعلام.

س5: تحدث عن دور الصحافة اليومية وما هي واجباتها.

س6: ما هي الدعاية السياسية، تحدث عنها في النظم المطلقة، والنظم الديمقراطية.



أساسيات الرأي العام

الرأي العام

أولاً : الفرد : من حيث طبيعته وسماته .

قد تبدو فكرة أن الرأي العام هو عبارة عن أراء مجموعة من الأفراد ممن لهم طبيعة معينة ويتصفون بسمات معينة، وهو ما يؤدي إلى سلوكهم سلوكاً معيناً نحو مسألة معينة. وهناك علماء يرون أن الرأي العام ليس مجرد آراء كل فرد على حدة، بل هو أمر أكثر أتساعاً من ذلك.

وإذا كانت أراء الأفراد هي واجهة العملية التي يراد منها قياس الرأي العام، فالرأي العام هو إنتاج للتفاعل بين الأفراد نتيجة لتواجدهم معاً في حياة جماعية فقد وصف العالم تشالز كولي (Charles Cooly)الرأي العام بأنه لا يعد تعميقاً لأحكام فردية منفصلة، وإنما هو تنظيم خاص محصلة للتأثير المتبادل الناشئ عن عملية الاتصال بين الأفراد تتم بوسائل مختلفة.

الفرد في نظر السلطة كائن تابع يمكنه أن يصل إلى أعلى المراتب ولكن بتوجيه وعناية الدولة، وتهدف الدولة في هذا النظام إلى المحافظة على وحدة الفكر بين أعضاء الجماعة، ولذلك فالرأي العام ليس حصيلة أتفاق الجمهور، ولكنها نتاج عملية يقوم بها عدد من نقاط الاستقطاب في المجتمع، يقومون بتوجيه الشعب والسيطرة عليه، وهذا يعني أن الفرد مخلوق تابع وغير قادر على الاعتماد على نفسه بمفرده، ليس له بهذا المعنى كينونة مستقلة تماماً، خاضع للقيادة.

أما في نظرية الحرية، فهي تؤكد أن الفرد ليس مخلوقاً تابعاً، بل هو كيان مستقل ذو مقدرة ذهنية تمكنه من التميز بين الخطأ والصواب، وبين الحسن وما هو سيئ، والإنسان لا يكف في سعيه للتوصل لمعرفة الحقائق.

ومن وجهة النظر الإسلامية، فإن الصورة التي رسمها الإسلام للفرد بلغت حداً من الكمال والنضج بحيث جعلها تضع الإنسان في أعلى المراتب. بسم الله الرحمن الرحيم: **لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم** (3ـ التين).

فالإنسان بهذا المعنى عنصر مهم في تكوين الرأي العام، ويتميز بالصفات التالية:

1. **المسؤولية:**

يعتبر الإنسان مسئولا عن عمله سواء كفرد أو كجماعة.

2. **العلم:**

أعتبر السعي من أجل الحصول على العلم والمعرفة حق أساسي من حقوق الإنسان، ولذلك جاءت الدعوة إلى القراءة وإلى تأمل الأشياء والأحداث وحسن تفسيرها.

3. **التكليف والعقل:**

حسب الشريعة الإسلامية، لا يعذر الإنسان إلى تجاهل عقله وأطاع المتسلطين والطغاة.

4. الحرية حق واجب لكل إنسان وواجب على الآخرين رعاية هذا الحق على أساس أن حق الفرد على الجماعة واجب وملزم للمجتمع .

ثانياً: الجوانب النفسية لعملية تشكل الرأي العام.

وتتمثل الجوانب النفسية في عملية تشكل الرأي العام بما يلي:

1. **الدوافع والاحتياجات**: إذ هناك علاقة قوية بين الحوافز (المثيرات) والدوافع والاحتياجات والإشباعات أو الاستجابة، وفق ما يلي:

حوافز ـ دوافع ـ احتياجات ـ استجابة

2.**الحوافز:** المثيرات هو التغيير الذي يطرأ على بيئة الفرد الخارجية والداخلية، ويتمثل في المعلومات التي يتلقاها الفرد عن طريق الحواس المختلفة عن المكونات البيئية المختلفة

3. **الاستجابة**: وهو ما يقوم به الفرد أو ما يمتنع عن القيام به كنتيجة لتأثير الحوافز عليه، وكنتيجة لإدراك حواسه للحوافز.

4. **الدوافع**: هناك دوماً ما يدفع الإنسان لإشباع حاجاته، بفعل عوامل داخلية، أو كغريزة لديه، وتلعب الحوافز دور المثيرات لهذه الغرائز الكامنة.

وهناك أوجه أخرى لتفسير سلوك الإنسان كأن تكون:

1. مدخل الدوافع حيث يفسر أصحاب هذه المدرسة سلوك الفرد من خلال تنظيم الدوافع البيولوجية أو الاجتماعية.

2. أنماط وخصائص الشخصية حيث وضع أصحاب هذه المدرسة تعديلاً وتفسيراً لكل نمط من أنماط السلوك، وعلى ساس الارتباط بين السلوك وخصائص الشخصية وأنماطها.

3. القدرات وبنائها، حيث أصبح التركيز على القدرة في حد ذاتها وهي تجمع من أنماط السلوك وتربط فيما بينها.

4. عملية الإدراك الاجتماعي وحيث يعتبر إدراك الإنسان للآخرين كأشكال اجتماعية من شأنه أن يحدد سلوكه وتفاعله تجاههم.

5. الضغوط الاجتماعية السائدة في مجال الجماعة وانعكاسها على سلوك الفرد، وهذه الضغوط هي كالرأي العام، والإعلام والدعاية والإشاعات، والقيم الاجتماعية.

6. الاتجاهات النفسية حيث تكون محددات هذا الاتجاه النفسي اجتماعية / ديناميكية تأتي من خارج الفرد، وليس من داخله.

7. البناء السوسيومتري للجماعة وهو أيضاً مدخل دينامي / اجتماعي لتفسير سلوك الإنسان.

وتنقسم الدوافع إلى مجموعتين:

1. **مجموعة من الحاجات العضوية(الموضوعية):** وتنبع أساساً من الاحتياجات العضوية للكائن الحي وهي تلك التي تدخل في تركيب جسم الإنسان عضوياً من مواد غذائية بما تحتويه من عناصر ضرورية لحياة الإنسان.

2. **مجموعة من الحاجات الاجتماعية:** وهي على الأغلب حاجات معنوية/ مادية وتتمثل بالحاجة إلى الأمن والأمان (بما في ذلك الأمن الاجتماعي) وزوال حاجز الخوف، والعواطف الإيجابية (الحب والاحترام)، وتحقيق الطموحات الذاتية.

وقد نظر الإسلام إلى هذه الاحتياجات من وجهة نظر إسلامية:

وقد طور فقهاء التصور الإسلامي، إلى ما يمكن تسميته النظرية الإعلامية الإسلامية، والتي تضمنت ضوابط لكافة الدوافع التي يتعرض لها الإنسان وهي:

أولاً : المنبهات الداخلية:

ويطلق علماء النفس على غرائز بالمنبهات، ويعرفونها بأنها استعداد فطري لدى الإنسان تدفعه للقيان بسلوك خاص إذا ما أدرك بأنه في موقف أو مجال معين، وينقسم هذا إلى قسمين:

أ. **نزعات فطرية عامة**: وهي غريزة المقاتلة وجذرها الشعور بالغضب/ الهروب وجذرها الانفعالي هو الخوف/ البحث عن الطعام، وجذرها الجوع/ النفور وجذرها البغض/ الاستغاثة، وجذرها الشعور بالضعف/ الخنوع وجذرها الشعور بالنقص/ السيطرة وجذرها الشعور الزهو/ التملك وجذرها حب الاستحواذ/الحل والتركيب وجذرها حب العمل والنشاط/ حب الاجتماع وجذرها الشعور بالوحدة/ الضحك وجذرها التسلية/الأبوة وجذرها الحنان/ الجنس وجذرها الشهوة الجنسية.

وقد أضاف العلماء إلى هذه المنبهات أو الغرائز مجموعة أخرى وهي منبهات(غرائز): الراحة والنوم والهجرة.

ب. نزعات فطرية خاصة:

- وهي قابلية الاستهواء، أي استعداد الفرد تقبل فكرة من شخص آخر مع أنها غير مستوفية للأسباب المنطقية لذلك.

ـ المشاركة الوجدانية، وتعني تفاعل الإنسـان مـع مـا يمـر بـه إنسـان آخـر عنـد إدراكـه المظاهر الخارجية لهذه الحالة الانفعالية.

ـ التقليد، وهو انتقال أنماط السلوك من كائن لآخر من نفس النوع على الأرجح.

ـ اللعب: هو ضرب من النشاط يقصد لذاته، خلافاً للنشاط الجدي الهادف.

ـ الميل للتكرار، وهي تعكس الرغبة في أتباع ذات الأساليب.

ثانياً : المنبهات الطبيعية:

وتشمل هذه المنبهات حالة سطح الأرض التي يعيش عليهـا ودرجـات الحـرارة والـبرودة ومدى تناسبها مع الكيان الإنساني والضغط الجوي والأمطار والرياح وتباين درجات الحرارة بـين الليل والنهـار والحـدود الـدنيا والقصـوى لـدرجات الحـرارة ومـدى تباينهـا في ظـروف الطقـس المختلفة.

ثالثاً : المنبهات الاجتماعية:

هي جمع المعلومات التي يحصل عليها الفرد من الوسط الاجتماعي المحـيط بـه، ويمثـل هذا الوسط أو المناخ الاجتماعي في البيئة الرئيسية اجتماعياً وحضـارياً، وإليهـا يوجـه اسـتجابته وأفعاله المختلفة.

وتتعلق المعلومات التي يحصل عليها الفرد من البيئة الاجتماعية المحيطة به بالجوانب التالية:

1. تحديد الفرص المتاحة في البيئة المحيطة لتحقيق الإشباع المطلوب لبعض احتياجاته.

2. تحديد الشروط والمتطلبات التي يجب أن يلتزم بها الفرد في استجابته لتلك المثيرات حتى يستطيع الحصول على الإشباع اللازم.
3. مساعدة الفرد على اختيار أهدافه وتحديد تطلعاته بالنسبة لنفسه وما يمكن أن يحققه من إنجازات.
4. تعكس للفرد توقعات الآخرين عنه وأنماط السلوك أو الاستجابة التي تفرضها عليه طبيعة مركزية في النظام الاجتماعي والأدوار التي يمكن أن يمارسوها وتحديد توقعاته من الآخرين ومدى المعاونة التي يحتمل أن يجدها في سعيه بتحقيق أهدافه.
5. تحدد الموانع والعقبات التي يسنها المجتمع أو بعض هيئاته التي تمنع أو تعرقل الفرد من محاولته لتحقيق أهدافه.
6. وصف التغيرات أو التحولات في الأوضاع والعلاقات الاجتماعية السائدة في المجتمع، والتي في ضوئها يقرر الفرد تغير أهدافه وتطلعاته.

ويتمكن الفرد من استعادة توازنه وتوافقه الفكري من خلال ثلاثة مداخل:

1. أن يحدث تغيراً في الأفكار والاتجاهات المستقرة لديه لكي تتوافق مع المعلومات الجديدة الواردة إليه.
2. أن يحاول من خلال تصرفاته وردود فعله المختلفة إحداث تغيرات في المواقف والأوضاع الاجتماعية لكي تتوافق مع أفكاره ورغباته وتطلعاته.
3. أن يحدث توافقاً نسبياً بين جانب من المعلومات عن المواقف والأوضاع الاجتماعية وبين جانب من أفكاره واتجاهاته.

رابعاً : المنبهات التنظيمية:

المنبهات التنظيمية هـي تلـك المنبهـات التـي يـستقبلها الفـرد مـن أعـضاء الجماعـة أو التنظيم أو الهيئة التي تصف وتوضح حقائق وخصائص التنظيم والأوضاع والظروف والعلاقـات السائدة فيه كما تحدد للفرد الواجبات والمتطلبات التي يفرضها عليـه انتمائـه للتنظـيم وأنـواع الفرص والفوائد التي يمكنه الحصول عليها مقابل الوفاء بتلك الواجبات والمتطلبات.

وتشمل المنبهات التنظيمية التـي قـدمتها النظريـة الإعلاميـة الإسـلامية كتحديـد أنمـاط السلوك الفعلية داخل الجماعات الإسلامية على المجالات الآتية:

1. منبهات أو معلومات تعدد الأهداف العامة للدعوة الإسلامية.
2. منبهات تحدد سياسة الجماعة الإسلامية تجاه المواقف المختلفة.
3. منبهات تحدد التركيب العام للهيكـل التنظيمـي للمجتمـع الإسـلامي القـائم عـلى المساواة وعدم التفضيل بين أفراده عـلى أسـاس التقـوى (إن أفـضلكم عنـد اللـه اتقاكم).
4. منبهـات تحـددها وضـع الـدعوة بالنـسبة للـدعوات الـسابقة، وأوجـه الاتفـاق والاختلاف بينها والمراحل التي مرت بها هـذه الـدعوات والإنجـازات التـي حققهـا والعقبات التي عاقت بعض مراحل نموها.
5. بهذه المعلومات تربط النظرية الإعلامية الإسلامية الإنسان بماضيه المزدهر العامـل بمواطن العظمـة والعـبرة التـي يـستخلص منهـا زاده ويبنـي بهـا عزيمتـه وإرادتـه وقدرته على الصمود في المستقبل الذي اتضحت معالمه وتعـددت مجـالات الرؤيـة فيه على ضوء هذه النظرية.

6. منبهات تعدد أسس السلوك الاجتماعي المستهدف بين أفراد المنظمة وطبيعة العلاقات بينها.
7. منبهات تحدد طبيعة الواجبات المترتبة على الارتباط بالدعوة وأساليب الأداء.
8. بالإضافة إلى ذلك، يجب أن تقوم العلاقة على حسن الظن بالناس وعد التجسس والغيبة والنميمة.
9. منبهات تحدد فرص التقدم وأنماط السلوك الدافعة إليه.
10. وتتضمن النظرية الإسلامية أيضاً في إطار المنبهات التنظيمية، المنبهات التي تحدد المخاطر والعقبات أو القيود التي يمكن أن تعترض الفرد أو الجماعة وكيفية مواجهتها سواء كانت ذاتية داخلية أو كانت خارجية متمثلة بإبليس.

خامساً: الميول والاتجاهات:

الميول: وهي التي ترتبط بالمشاعر التي يحس بها الفرد حيال كموضوع أو قضية معينة، وبالتالي فهي تؤثر على رأيه في ذلك الموضوع، وتعتبر الميول اتجاهات داخلية.

أما ....

الاتجاه: يعني وضعاً معيناً يتخذه الجسم للقيام بفعل معين، أي استعداد فيزيقي يتمثل في إنقاذ وضع معين لأداء فعل معين.

وبالنسبة لاتجاه الفرد القائم بالاتصال، فبعد أن يتضح أن الاتجاه يؤثر على مدى فاعليته، فإذا كان اتجاهه هو نفسه سلبياً فمن المحتمل أن يؤثر على مدى فاعليته فإذا كان اتجاهه سلبياً، فمن المحتمل أن يؤثر هذا التقييم للذات على نوع الرسالة التي يصفها كما يصبح أقل ثقة بنفسه.

أما بالنسبة لاتجاه القائم بالاتصال نحو الموضوع فتتمثل أهميته في تحديد مدى إيمان القائم بالاتصال بفكرته واقتناعه بها.

وبخصوص اتجاه الداعية نحو الجمهور، فإذا أتسم هذا الاتجاه بالإيجاب، أدرك الجمهور ورحب القائم بالاتصال لهم واهتمامه بمصالحهم فيصبحون أقل انتقاد لرسائله ويزداد احتمال قبولهم لوسائله مما يساهم على نجاح عملية الاتصال.

سادساً : العادات:

تنشأ العادة نتيجة لتكرار الاستجابة لنفس المثير أو المنبه الذي تعرض له الفرد. أي أن الاستجابة للمنبه تتسم بصفة مستمرة وثابتة وترتبط هذه الاستجابة المتكررة بقدر الإثارة التي يتحصل عليها الفرد، وكلما كانت الإثارة أكبر من المتوقع بذله للحصول عليها، كلما أمكن للشخص أن يتخذ قراره بالاستجابة وبالتالي فإن العلاقة بين المنبه والاستجابة تزداد قوة وتصبح عادة.

وهناك عوامل عديدة تساعد على تنمية وتقوية العادات هي:

استمرار تحقيق الإثارة للفرد نتيجة التعرض المستمر للمنبه وكلما تكررت الاستجابة تكررت الإثارة التي تتحقق للفرد، كلما أدى ذلك إلى زيادة العادة قوة أكثر وأكثر.

1. عزل العلاقة بين المنبه والاستجابة عن أي علاقات منافسة أخرى، فإذا أمكن لمصدر من المصادر وسائل أنصال أن يعزل المستقبل

(المتلقي)عن وسائل الاتصال الأخرى، فإن المستقبل يستمر في التعرض لرسائله والحصول على نفس الإثابة مما يزيد فاعلية التأثير على الفرد ويؤدي بالتالي إلى تقوية العادة.

2. مقدار وأهمية الجزاء المتوقع، فكلما زاد الجزاء كلما تكررت الاستجابة وترسخت العادة.

3. سرعة الحصول على الإثابة، فالإثابة المترتبة على الاستجابة قد تكون فورية أو مؤجلة وكلما توقع الشخص أن تكون إثابة الاستجابة فورية، كلما كان المرجح أن يقوم بالاستجابة، لذلك من المستحسن أن تكون فورية، إذا كان المطلوب هو استمرار الاستجابة لزيادة العلاقة بين المنبه والاستجابة قوة وبالتالي زيادة قوة العادة.

4. مقدار الجهد المتوقع بذله، فكلما كانت الإثابة أكبر من الجهد المتوقع بذله للحصول عليها، كلما كان بإمكان الشخص أن يتخذ قراره بالاستجابة وبالتالي تزداد قوة العلاقة بين المنبه والاستجابة فتزداد العادة قوة.

سابعاً : المعتقدات:

وهي تشكل مصدراً من مصادر الرأي العام، وأحد العوامل المهمة في تشكيله، فهي تسهم في تكوين الطرق والأساليب المعتادة في النظر إلى الأحداث ومعالجتها والتي تتوقع الجماعة من أعضائها أن يسلكوها إزاء قضية أو موقف أو مشكلة معينة. وتمثل أهميتها في ثلاث جوانب:

1. إمداد الإنسان بمعلومات عما هو حقيقي وما هو مزيف وعما هو جيد وما هو ردئ، وعما هو مرغوب فيه وما هو مكروه فيه.

2. قدرتها على الاستثارة العاطفية والتأثير عليها.

3. وهي باعتبارها استعدادت للاستجابة، فإنها لابد وأن تؤدي بالشخص إلى اتخاذ سلوك ما أو القيام بعمل ما.

وإذا كانت للعقيدة الدينية كأحد أهم هذه المعتقدات نفوذاً واسعاً عن طريق النفوذ الذي لها عبر القرون.

ثامناً : الإدراك والتفكير:

الإدراك هو عملية استقبال المنبهات وتفسيرها تمهيداً لترجمتها إلى معان ومفاهيم تعاون في اختيار السلوك، وتبدأ عملية الإدراك عادة حيث يصل أجهزة الاستقبال المعلومات لدى الفرد إشارات من المثيرات أو المنبهات تتولى أجهزة الاستقبال ترجمتها إلى نبضات عصبية مما ينتج عنه الإحساس أو الشعور بها.

وعلى هذا فإن عملية الإدراك الكاملة تتم كالآتي:

1. يشعر الإنسان بالمثيرات ويستقبلها من أجهزة المعلومات لديه.
2. يختزن الإنسان في ذاكرته معلومات ومعان كثيرة كنتيجة لخبراته السابقة وإدراكه أشياء سبق له التعامل معها.
3. يقارن ما تم استقباله من مشاعر جديدة بالمعلومات والمعاني المختزنة في ذاكرته وتتضمن عملية إعطاء المعنى للأحاسيس أو الشعور في خطوتين هما:

أ. تنسيق المعلومات.

ب. الرموز أو الصور الذهنية.

ـ وتعني عملية تنسيق المعلومات أن الفرد بعد أن يتعرض للمنبهات المختلفة، يختار من بينها ويمنح ما يختار منها ويدرك معنى معين، وعلى ضوء

مجموعة كبيرة من العوامل فتتفاعل هذه العوامل مع بعضها وتجعل الفرد يقرر، وهذا ما يسمى حسب علماء الاتصال بالعمليات الانتقائية.

ـ أما الصور الذهنية والرموز فهي تدخل في إطار عملية الإدراك الترميز فهي تساعد الفرد على اختزال وتلخيص المنبهات الداخلية والخارجية التي يستقبلها الفرد، ويسميها علماء النفس بملخصات الكون.

وتتأثر عملية الإدراك للمنبهات أو المعلومات وهي العملية التي تجعل الفرد يدرك ما تقصده الرسائل الإعلامية أو يخطئ في إدراك المنبهات هذه أو يدركها بصورة مشوشة فتتمثل في مجموعة عوامل منها:

تاسعاً : مجموعة العوامل النفسية:

وتتضمن عوامل أشرنا إليها سابقاً إلى الدوافع والاحتياجات والاتجاهات والعادات، بالإضافة إلى عوامل أخرى مثل:

1. الأهداف والتوقعات.
2. الحالة الذهنية والمزاجية.
3. مجموعة العوامل العقلية المتصلة بعملية التفكير.
4. مجموعة الإستحالات الإقناعية.
5. مجموعة العوامل والمقومات الاجتماعية.
6. البيئة المادية.
7. التركيب الفسيولوجي.
8. القدرات والطاقات الأساسية.
9. طبيعة الموضوع المدرك.
10. الظرف الإتصالي.

ثالثاً: الجوانب العقلية لعملية تكوين الرأي العام

تتأثر عملية تكوين الرأي العـام وتتحـدد سـلوكياته بـالخواص العقليـة المتـصلة بعمليـة التفكير لدى الفرد. فالنتائج التي توصل إليها الباحثون المختصون في هذا المجـال خـلال الحقـب الماضية.

وفيما يلي عن أهم هذه الخـواص مـع الإشـارة إلى كيفيـة اسـتخدامها للتـأثير في الـرأي العام:

1. الأنماط.
2. التبرير.
3. الإبدال والإسقاط والتعويض.
4. التقلب والاتفاق.
5. الرموز اللغوية وغير اللغوية.

أولاً . الأنماط:

وتستخدم هذه الخاصية في مجال إبداء الرأي وهي عبارة عن لموز تستخدم عـلى نطـاق واسع في عملية تكوين الرأي العام وتنبع من خاصيتين نفسيتين أساسيتين هما:

أ. خاصة تحويل المجردات إلى محسوسات.

ب.   خاصة التبسيط بنشر الشخصيات والأفكار والعقائد والمذاهب والتجارب الإنسانية واختزالها في أنماط معينة كتجسيد هذه المعاني ليسهل على عقلية الجماهير استنباطها.

ثانياً . التبرير:

التبرير هو معادلة تعليل السلوك بأسباب منطقية يقبلها العقل مع أن السباب الحقيقية انفصالية ويعمل السياسيون على استثارة هذه الخاصية فيتقدمون للرأي العام بالتبريرات التي تساعدهم على التخلص من التوتر والقلق النفسي الناتج عن معاناة الإنسان من العجز في تطبيق قناعاته الحقيقية وشعوره بالخجل للاندفاع في التأييد أو المعارضة دون قناعات حقيقية وشعوره بالخجل للاندفاع في التأييد أو المعارضة دون قناعات حقيقية.

ثالثاً. الإبدال والإسقاط والتعويض:

وهو عملية تحويل الانتباه من موضوع إلى آخر لأسباب متفاوتة، فبنما يعتري الجمهور قلق بسبب معين من الأسباب، وحيث لا يستطيع توجيه غضبه نحو السبب الأصلي، فإنه يلجأ إلى عملية الإبدال والقيام بالتظاهر أو الإضراب، وقد يكون الإبدال بديلاً عن التبرير والإسقاط بصفة عامة عملية تعني انعدام النظرة الموضوعية والتغبير. أما التعويض فهو محاولة لتخفيف من حدة القلق والتوتر لتخفيف من حدة الشعور بالإحباط أو القلق.

رابعاً. التقلب والاتفاق:

الرأي العام ظاهرة متغيرة، فالناس لا يثبتون على حال واحد، فهم يغيرون آرائهم في الأشخاص أو الأحداث بين حين وآخر.

أما الاتفاق، فهـو حالـة ميـل الفـرد إلى الاتفـاق مـع رأي الجماعـة أو القـادة وحتـى لـو اختلفت مع قناعته الشخـصية، أي أن الفـرد يـسلك عـلى نحـو مطـابق لـسلوك الآخـرين أو أن يحاول بوعي أو بغير وعي أن يفعل ذلك على أساس قوله: أني مثلهم.

خامساً. الرموز اللغوية وغير اللغوية:

الرموز هي أساس عملية التفكير والاتصال بالآخرين من ناحية، وأساس عملية التـأثير في الرأي العام من ناحية أخرى. وتتمثل الرموز اللغوية في اللغة أما غير اللغوية فتتمثـل في أشـكال الاتصال الأخرى كالصور والرسوم والأساطير والحكم الشعبية والأمثال والأغاني.

أي أنها عاملاً هاما في التحكم في أراء وسلوك الآخرين، أما اللغة فهي نتاج ثقافـة معينـة وتحتوي عـلى التعبـيرات والكلـمات التـي تـسمي وتـصف الأشـياء والعلاقـات والأفكـار والقـيم المشتركة.

رابعاً : الإستمالات وتغير الرأي العام

نستخدم للتأثير عليه وتغيره، استمالات وأساليب كثيرة بعضها منطقي والبعض الآخر غير منطقي أو عاطفي تتحدد على ضوئها كيفية أو طريقة المعالجة للرسالة الإعلامية بالشكل الـذي يضمن التأثير المطلوب.

وسوف نتحدث فيما يلي عن طائفة من هذه الإستمالات وبخاصـة الأكـثر اسـتخداما في مجالات تغير الرأي العام وأهمها ما يلي:

1. **عرض الحقائق**: يعتمد هذا الأسلوب على وصول الحقائق إلى أكبر عدد ممكن من الناس على أساس أن الحقائق الملموسة أقوى وأبقى على الزمن من الأكاذيب والشائعات.

2. **البرامج الإيجابية**: البرامج والتصريحات الإيجابية لها أثرها البالغ وسحرها الكبير على الرأي العام بعكس البرامج الغير محدودة والكلمات الجوفاء، ويرتبط نجاح هذا الأسلوب بمدى الالتزام بتنفيذ هذه الوعود والأدوات إلى عكس المتوقع منها.

3. **التكرار:** من انجح الأساليب لتغير الرأي العام وخاصة حيث تتجه المخاطبة إلى إثارة العواطف والمشاعر لا العقل، ويتخذ صوراً متعددة منها: تكرار النص الإعلامي نفسه. وتتمثل فاعلية التكرار في تحقيق مزايا عديدة منها:

أ. دفع الأشخاص الذين لم يلاحظوا المثير خلال عمليات التقديم السابقة إلى إدراك موضع الإثارة.

ب. يعمل على حفظ المثير والتذكير به.

ت. يعمل على وصول الإثارة إلى مختلف الأشخاص وبالتتابع، فقد يتقبله اليوم من هو بحاجة إليه ويتقبله غداً أشخاص آخرين يصلون إلى نفس الأساس بالحاجة وهكذا دواليك ..

4. **الطرق التوجيهية:** وعن طريقها نأمر المخاطب أو نستحثه للقيام بعمل ما.

5. **الطريقة الإيجابية:** وهي التي تعتمد على استخدام الإيحاء للمخاطبين.

6. إثارة الخوف والرعب: ويعتمد هذا الأسلوب على استغلال دوافع الأمان لدى الإنسان ورغبته في الاستقرار فتثير دوافع الخوف للتأثير في الشعوب وإخضاعها وذلك ما فعلته الدعاية الغربية.

7. **التورية بالأسـماء:** يـشيع التـشهير بالأسـماء عـن طريـق إطـلاق الأسـماء (التوريـة بالأسماء) حيث يكـون في المجتمـع قطعـات كبـيرة يقـع بينهـا الـصدام باسـتمرار، فتستخدم التورية بالأسماء للتشهير فيما بين الجماعـات الـسياسية بعـضها الـبعض وبين الجماعات الاقتصادية المتصارعة.

خامساً : المقومات الاجتماعية لتكوين الرأي العام

يتكون الرأي العام نتيجة تفاعل عوامـل عديـدة منهـا نفـسية واجتماعيـة وكـل منهـا لا يعمل منفرداً في تكوين الرأي العام أو في تغير اتجاهاته.

ونستعرض هنا باختصار للتأثيرات المختلفة لأهم سقوط كمقومـات البيئـة الاجتماعيـة على الفرد ومن ثم رأي المجموع أو الجمهور.

1. **العادات والتقاليد والقيم المتوارثة:**

تمثل المعتقدات المتوارثـة للـشعوب كبـديهيات وقـيم لا تقبـل الجـدل، أو إبـداء الـرأي، ولهذه القيم والعادات تأثير كبير على تكوين الرأي العام لأن الجمهور في كثير من هذه الحـالات يستلهم هذه القيم والعادات في تكوينه لرأيه حول القضية المطروحة للنقاش.

2. **الدين:**

ويعد أحد مقومات النظام الثقافي وهو بطبيعته لا تقبـل أساسـياته الجـدل، ولهـذا فـإن جوهر الدين يبقى راسـخاً لأجيـال ويـشكل عـاملاً شـديد التـأثير في توجيـه تـصرفات الـشعوب والأفراد.

3.مؤسسات التنشئة الاجتماعية:

ويأتي على رأسها الأسرة والمدرسة، ويتمثل دور الأسرة في التكوين النفسي لأفرادها. وعلى سبيل المثال لو سادت التسلطية كأسلوب لأداء أو شؤون الأسرة فمعنى ذلك سيادة روح الامتثال والخضوع لدى الأفراد وافتقاد القدرة على إبداء الرأي والتعبير عنه، وهذه السمة تغلب على الشخص خلال الممارسة السياسية فيما بعد.

4. الحوادث والمشكلات:

الحوادث والمشكلات من العوامل الهامة التي تهز المجتمع وتعمل على تكوين اتجاهات جديدة للرأي العام.

5. الزعماء والقادة:

يلعب الزعيم أو القائد دوراً مهماً في حياة الناس وأرائهم، صحيح أن هذا الدور أخذ يتلاشى في الدولة العصرية نظراً لوجود أحزاب ومؤسسات تقوم به، إلا أن هذا الدور يزداد أهمية في الدول النامية.

6. المناخ السياسي:

المناخ السياسي مهما أختلف خطه الفكري، يلعب دوراً مهماً في تكوين الرأي العام. فالمواطن في العصر الحديث يقع تحت الهيمنة الكاملة للأيديولوجية السائدة في النظام السياسي.

7. الوضع الدولي:

تمثل البيئة الدولية مصدر للحوادث أو الحملات الدعائية، وتشكل عـاملاً مـؤثراً قويـاً في الرأي العام وفي جوانب الحياة السياسية الثقافية داخل الدول، ولعل خير مثال على ذلك، الوضع الدولي الراهن المتمثل في النظام الدولي الجديد والذي جاء نتيجة الحرب الباردة والتي استمرت منذ الحرب العالمية الثانية حتى مطلع التسعينات.

8. النظام ألاتصالي ووسائله:

لوسائل الاتصال دور كبير في تكوين الرأي العام وذلك من خلال ما تعمله مـن مـضمون ووفقـاً لمنهجهـا الإتـصالي وأهـدافها، ولهـذه الأهميـة فقـد اعتنـت كافـة الـدول عـلى اخـتلاف أيديولوجيتها ونظم حياتها بتنمية وتعزيز أجهزتها الإعلامية وأصبحت هذه الدول تسعى لزيادة سيطرتها على هذه الأجهزة لضمان تكوين رأي عام مؤيد لسياستها واختلفت الـدول فـيما بينهـا في قدر هذه السيطرة وفقاً لطبيعة الأنظمة السياسية السائدة، واختلفـت لـذلك مـضامين هـذه الوسائل وأهدافها.

سادساً : الاتصال وبناء الرأي العام

تتأثر عملية تكوين الرأي العام بمختلف العوامل التي يمكن أن تؤثر عـلى تكـوين الـرأي العام كما تتأثر بطبيعة الموقف الذي يتكون فيه الرأي وأهدافه من حيث تكوين الرأي العام أو تدعيمه أو خلخلته وبطبيعة إشكال الاتصال المستخدمة ووسائله.

وفيما يلي تصور مقترح لتعليل عملية تكوين الرأي العام والمتميزة بما يلي:

1. تبرز طبيعة الموقف ألاتصالي من حيث أهدافه المتعلقة بتكوين أو تـدعيم أو خلخلـة الرأي العام.
2. ويستعرض الموقف الإتصالي في موقعها بالنسبة لعمليـة تكـوين رأي الفـرد والـرأي العام، فيعرض أشكال الاتصال ووسائله والمضمون الإتصالي.
3. يتعرض لعملية الإدراك لدى الفرد ولمكوناتها وللعوامل المؤثرة عليها وهي العوامل النفسية والعقلية والاجتماعية والمادية والإستمالات المنطقية والعاطفية.
4. يهتم بعملية التشويش في بنـاء الـرأي العـام سـواء المتعلقـة بـنقص المعلومـات أو بعدم وضوح المنبهات أو لتعارضها مع الميول والاتجاهـات القائمـة أو لأن الفـرد لم يكون بعد رأياً أصلاً.
5. يربط بين عملية الرأي الفردي والرأي الجماعي من خلال عمليتي الإدراك والاتفاق الجماعي الناجمتين عن تفاعل أراء الأفراد من خلال المناقشة والحوار.
6. يشير إلى أهمية رجع الصدى باعتبار أن الرأي العام الناتج يمثـل بحـد ذاتـه مـؤثراً جديداً يتفاعل معه الفرد باعتباره فرداً من ناحيـة، وعـضواً في جماعـة مـن ناحيـة أخرى، وما يترتب على ذلك من نتائج تتمثل باستمرار الرأي العـام أو في ضـعفه أو في تفككه.

أهم العناصر والمحددات المتصلة بعملية تكوين الرأي العام:

الموقف الإتصالي لتكوين الرأي العام وأهدافه:

هو عبارة عن المسألة أو المشكلة أو القضية التي تمس مصالح الجماهير وظروف معيشتها وعقائدها الأساسية والتي تحاول إبداء وجهات نظرها تجاهها وتظهر انطباعها وتصوراتها تجاه الحل الأمثل المطلوب تحقيقه وهي جوهر أو أساس الرأي العام. ويمكن تعريف المسألة على أنها موقف حالي معين يحتمل عدم موافقة مجموعة من الناس عليه.

ويتكون الموقف الإتصالي لتكوين الرأي العام من العناصر الآتية:

1. الموقف أو المشكلة أو القضية (حرب نفسية ـ شائعات ـ افتعال أزمة).
2. شكل الاتصال مثل: إعلام ـ دعاية ـ إعلان ـ علاقات عامة ـ تعليم ـ أشكال التعبير الأدبي ـ أشكال التعبير الفني.
3. وسائل الاتصال وتشمل:

أ. وسائل التعبير الرمزي بالجسم أو بالحركات وبالأشياء المادية والتعبير لفعل.

ب. وسائل التعبير الرمزي بوسائل الاتصال الشخصي والجمعي الجماهير.

4. المضمون الإتصالي ويتضمن:

أ. الأفكار والآراء المستخدمة في التعبير عن المشكلة أو القضية.

ب. أنماط التحرير المناسبة للوسيلة مثلاً للصحافة، نمط خبر أو مقال أو تحقيق أو حديث.

ت. أسلوب المعالجة الفنية من حيث الأسلوب: الإحراجي، ألاقتناعي.

إدراك الموقف والاستجابة:

يمثـل الإدراك عمليـة هامـة في تكـوين الـرأي العـام، بـل وفي اتخـاذ القـرارات ووضـع السياسات من جانب القيادات، أو العناصر التي تتولى هذه المهمة. وتتحـدد طبيعـة الاسـتجابة الناتجـة وفقـاً للعوامـل المـؤثرة في عمليـة الاسـتجابة للمنبـه ذاتـه، وفي عمليـة الإدراك. وهـذه العوامل هي:

ث. مجموعة العوامل النفسية.

ج. الجوانب العقلية.

ح. المقومات الاجتماعية.

خ. المقومات المادية.

د. الإستمالات العاطفية والإقناعية.

ومن خـلال التفاعـل بـين هـذه العوامـل داخـل الجهـاز ألإدراكي للفـرد، تتحـدد طبيعـة الاستجابة للموقف أو للمنبه وتأخذ أحد الأشكال الآتية: ميل أو اتجاه أو رأي أو سلوك.

تكوين الرأي العام:

الرأي الذي أنتهي إليه الفرد من خلال عمليـة الإدراك يظـل رأيـاً شخـصياً، وكـذلك الآراء التي أنتهي إليها الآخرون حول نفس الموقـف أو المـشكلة، وبعـد هـذا تـزداد المناقـشات وجهـاً لوجه بين الأفراد في عملية دائرية من خلال العلاقات المتداخلة ومن خلال الاتصالات الشخـصية بين الأفراد ومن تأثير أراء وسلوك الأفراد على غيرهم، ومن خلال اقتراحـات الأفـراد الـذين تهـتم بهـم، وتـأثير التوقعـات الشخـصية عـن المـستقبل ويتبلـور رأي مـن ثـم نتيجـة، وقـد تـساعد

هنا وسائل الاتصال الجماهيري في توسيع دائرة المشاركين في النقاش وبخاصة إذا كانـت القـضية مطروحة على مستوى العرض العام.

ومن خلال المناقشات يتكون الإدراك العام لدى أفرد الجماعة يساعد عـلى ظهـوره ردود أفعال مماثلة للفئات الأخرى حيال نفس المسألة ويظهره، مـن خـلال مجمـوع هـذه العمليـات يظهر الاتفاق العام أو الرأي العام.

قياس الرأي العام

تطور قياس الرأي العام:

قبل أن توجد الطرق العلمية الدقيقة لقياس الـرأي العـام، كانـت هنـاك في المجتمعـات القديمة طرق قياس بسيطة تفتقر إلى الدقة والقواعد، والفائدة منها كانت على نحو اجتهادي.

ومن ذلك لجوء الحكـام في المجتمعـات القديمـة لـبعض العنـاصر يدسـون بـين الـشعب لمعرفة أحوال الناس وأقوالهم وآرائهم وينقلون صورة ما يحصلون عليه إلى الحكام.

أما في الصورة الحديثة لقياس الرأي العـام فقـد حلـت الأدوات والمنـاهج الدقيقـة بـدل الأساليب القديمة، وإن كانت الطرق القديمة ما زالت مستخدمة وتمثل جانباً لا يمكـن الاسـتغناء عنه لقياس الرأي العام كالملاحظة والمقابلة، اللتان كانتا مـن أقـدم الأسـاليب للتعـرف عـلى أراء الناس.

وترجع البداية المبكرة لقياس الرأي العام إلى عام 1774 والـذي قامـت بـه شركة أرامز للاستطلاعات ومؤسسة فـرانكلين بتكليـف مـن أول كـونغرس خـاص

بالمستعمرات الأمريكية الثلاث عشر والتي تشكلت منها فيما بعد الولايات المتحدة الأمريكية، وكان الهدف من معرفة استجابة الجمهور للحرب المقترحة ضد الإنكليز آنذاك، وشمل الاستطلاع عينة من أربعة آلاف فرد من كافة المستعمرات وكانت الأسئلة على النحو الآتي:

1. هل أنت راض عن نظام الحكم الحالي والذي بمقتضاه تحكم من لندن ؟
2. هل أنت مستاء من وجود قوات بريطانية في المستعمرة التي تقيم فيها ؟
3. ما هي المظالم الأخرى لديك ضد إنكلترا ؟
4. على فرض أن للمستعمرات فرصة لاستقلالها عن التاج البريطاني، فهل أنت على استعداد لحمل السلاح من أجل الاستقلال ؟

وبعد حوالي نصف قرن، أي في عام 1824 بدأ في الولايات المتحدة نمط من استطلاع الرأي يعرف بإسم الاقتراع الأول، والغرض منه توقع نتيجة الانتخابات وهذه الاستطلاعات كانت تفتقر إلى الدقة والتمثيل الصحيح، وبالتالي كانت النتائج لا تدعو للثقة فيها حتى عام 1936، ظلت معادلات قياس الرأي العام تجري كيفما أتفق وبدون استخدام للأساليب العلمية المنهجية.

أما في عام 1936، وبفضل معهد غالوب الذي أستطاع أن يثبت مكانته العلمية وكفاءة أساليبه، من خلال التنبؤ بفوز روزفلت على منافسه في انتخابات الرئاسة الأمريكية عام 1940 ـ 1944، وأدى الإفراط الثقة بنتائج قياسات الرأي العام إلى نوع من الغرور جعل هذه المراكز تتنبأ في وقت مبكر بفوز ديوي بالرئاسة على ترومان، ولكنها فشلت فشلاً ذريعاً، وأدى ذلك إلى تراجع الثقة

باستفتاءات المعاهد، ولكنها (المعاهد) استعادت مرة أخرى ثقة الجمهور عندما تنبأ معهد غالوب عام 1960 بنتائج الانتخابات وفوز جون كندي على ريتشارد نيكسون.

يمثل قياس الرأي العام أهمية كبرى لدى الحكومات، سواء من خلال قدرتها على استشراف رأي عام يمكّنها من اتخاذ القرار، أو لتلبية حاجة مجتمعاتها، أو للتعامل مع المشكلات المستجدة، أو لتصحيح الرؤيه حيال القضايا التي يستهدفها هذا القياس. وتكمن أهميته في كونه أحد قنوات الاتصال المباشر بين الحكومات والشعوب، كما يمثل أحد القنوات المهمة في استشراف تلك الرؤى الجماعية حيال قضايا وطنية أو مواقف جماعية أو مسائل مستجدة تستلزم أخذها بعين الاعتبار عند وضع القرار على مائدة المسئول من خلال رؤية تقدمها تلك الاستطلاعات، خاصة إذا ما كانت استطلاعات تقوم عليها مراكز مهنية ومحترفة ومستقلة .

مفهوم القياس:

تشير الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية في تعريفها لقياس استطلاعات الرأي العام إلى أن قياس الرأي يتضمن تحديد ردود أفعال الأفراد والذي يتمثل عادة في كلمات أو عبارات محددة في ظروف المقابلة ويتناول هذا المنظور القياس عادة وكيف يتسع محيط الرأي لكي يشمل المتغيرات الجغرافية أو المستويات الاقتصادية والاجتماعية، أو المتغيرات الدينية أو الجماعات الإثنية التي يضيق قياس الرأي أحياناً عن الإحاطة بها فينحصر في بعض المتغيرات دون غيرها.

واستطلاع الرأي ليس هدفاً في ذاته، بل هو أداة كما يقول ترومان لجمع المعلومات عـن مجتمع تشكل فيه الحكومة المركز الرئيسي بين المؤسسات، التـي تـضم البيروقراطيـة التـي لابـد منها.

ولهذا فإن بحث الرأي بحسب ما طرحه مارتن كريسيرج تشكل إجـراء يـستهدف جمـع الحقائق عن أعلام الجمهور ومشاعره ذلك أن استطلاع الرأي العام قد أصبح طريقة من الطـرق القليلة الممكنة للحصول على بيانات عن المواطنين وهي بيانـات ذات أهميـة بالغـة لحكومـات سواء كانت ديموقراطية أو ديكتاتورية.

أهمية القياس:

تفرض ديناميكية الرأي العام وتغيره المستمر بحسب تقدير أحد الخبراء، إن على صانعي القرارات السياسية سواء على المستوى السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي، قيـاس الـرأي العـام تجاه القضايا المختلفة قياساً دقيقاً وبشكل مستمر ودائم وذلـك بهـدف معرفـة الواقـع الفعـلي ودراسة مشكلاته الملحة، وأراء واتجاهات الجمهور، وتقييم ما تم التوصل إليه بصورة صحيحة.

وتكمن أهمية قياس الرأي العام في:

1. تقديم بيانات يمكن على أساسها وضع الفرضيات والخطط لبرنامج مقترحة.
2. اختيار خطط برامج مقترحة.
3. تقييم فاعلية البرنامج القائم.
4. تسهيل الجوانب الإعلامية في السياسة القائمة.

فاستطلاع الرأي العام إذن خطوة أساسية في العملية الديمقراطية من حيث أنه لا يمكن أن تقدم الأجهزة الحاكمة بتحقيق أراء الجماهير ما لم تكن الإرادة بصدد كل مسألة من المسائل واضحة المعالم لدى أجهزة التشريع والتخطيط والتنفيذ.

مشكلات قياس الرأي العام:

يفترض الباحثون بأن استطلاعات الرأي العام وقياساته وبحوثه تتم بنجاح في الدول المتقدمة حيث تزداد درجة الوعي لدى الأفراد أو نتيجة ارتفاع المستوى التعليمي والثقافي وسيادة النظم الديمقراطية، مما تمنح الأفراد حرية التعبير عن الآراء.

وهذا الرأي ليس بصحيح بنسبة كاملة حتى في الدول المتقدمة فضلاً عن الدول النامية التي تكتنف العملية السياسية مشاكل جمة ولا تتعلق هذه المشاكل بطبيعة المتغيرات البيئية المحيطة بعملية القياس نفسها في كل من الدول المتقدمة والنامية، وإنما ترتبط بالإجراءات المنهجية لعملية القياس وبالمعلومات التي تعتمد عليها سواء بالنسبة للدول المتقدمة أو النامية.

فبالنسبة للدول المتقدمة نجد ثلاث تيارات تحدد الموقف من القياس وهي:

التيار الأول:

وهو تيار يبالغ في الدور الذي يمكن أن تقوم به قياسات الرأي العام في دعم الديمقراطية والحفاظ على استمرارها ويرفض أي تدخل من جانب السلطة لوضع أي قيود على قياسات واستطلاعات الرأي العام، وأصحاب هذا الاتجاه

هـم مـن غـير الأكـاديميين، ممـن يعملـون عـادة بمؤسـسات تجاريـة، أو يعملـون لحـسابهم الخاص.

1. **التيار الثاني:**

وهو تيار يقـف موقفاً عـدائياً مـن اسـتطلاعات وقياسـات الـرأي العـام خـشية إسـاءة استخدامها أو استغلالها بما يهدد الديمقراطية التي هي جـوهر النظـام الليـبرالي وأصـحاب هـذا الاتجاه ينتمون إلى المؤسسات السياسية والتشريعية والصحفية.

2. **التيار الثالث:**

ويمثله الأكاديميون ويرون أن قياسـات الـرأي العـام كـأي أداة مـن الأدوات الديمقراطيـة يمكن استخدامها لدعم الديمقراطية كما يمكن استخدامها في الوقت نفسه لتهديدها.

أما في الدول النامية فتبرز المـشكلة بوضـوح أكـثر وخاصـة في الـدول التـي لا تتبـع فيهـا النظم الديمقراطية والعملية هنا تكتنفها صعوبات ومشاكل عديدة منها:

1. عدم الالتزام بالشروط الدقيقة لإجراء القياس والتي بدونها لا تؤدي دورها.
2. عدم التفسير الدقيق لنتائج القياسات في ضوء الكثير من المعطيات الثقافيـة حتـى وإن توافرت فيها الشروط.
3. افتراض الوعي العام لدى أفراد عينة القياس بالإضافة إلى الـوعي الخـاص بموضـوع القياس، ولا شك أن كل من الـوعي العـام والخـاص يرتبطـان بـأمور كثـيرة تتعلـق بالمستوى التعليمي والثقافي.

4. عدم تمثيل عينة القياس للجمهور المعني وذلك لنقص البيانات اللازمة عن الشرائح الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع.

5. عدم صدق بعض أفراد العينة في التعبير عن أرائهم ومعتقداتهم للتوجس أو الخوف أو السرية.

6. توجيه أجهزة الإعلام في الدول النامية في خط يغلب عليه الدعاية لدعم أنظمة الحكم القائمة مما يؤدي إلى البلبلة واخطأ في المفاهيم بين الجماهير.

7. ارتفاع نسبة الأمية وعدم القدرة على القراءة والكتابة يحول دون تكوين وعي عام لدى الجماهير.

8. عدم كفاية قنوات الاتصال لإيصال المعلومات إلى قطاعات الجماهير العريضة عن الموضوعات المختلفة.

9. النقص الواضح في الموارد المالية للدول النامية مما يحول دون إجراء قياس علمي دقيق لما يتطلبه من تكاليف باهظة وأجهزة تكنولوجية متقدمة.

10. التردي المتعمد والفج في نتائج بعض الانتخابات والاستفتاءات يؤثر في نظرة الجماهير لقياسات الرأي العام لعدم جديتها وجدواها.

11. عدم الاستفادة من نتائج قياسات الرأي عند رسم السياسات، يؤدي إلى ردود فعل عكسية وعدم الثقة بالنتيجة بالإضافة لخيبة الأمل.

محتويات قياسات الرأي العام:

ترتبط قياسات الرأي العام بوجود الرأي نفسه والمشكلة التي تواجه أ'لب الهيئات العلمية لقياس الرأي في الدول النامية هو كيف تقيس شيئاً لا وجود له.

التقسيم الوظيفي لبحوث الرأي العام:

الرأي العام يكون بثلاثة أنواع رئيسية، مع التأكيد على أهمية كل نوع منها وتكامله مع الأنواع الأخرى وعلى النحو التالي:

1. استطلاع الرأي العام وهو النوع الأول من البحوث والذي يستهدف التعريف السريع والفوري للرأي العام حول قضية معينة.
2. قياس اتجاهات الرأي العام ويستهدف التعرف على الآراء والدوافع الكامنة وراءها، ويتميز بالبطء النسبي في إنجازه ويستخدم أساليب وطرق متقدمة في التحليل الإحصائي.
3. بحث في الرأي العام وهو نوع من البحوث الذي يفيد في توفير نوع المعلومات والبيانات اللازمة لتحليل نتائج استطلاعات الرأي العام

طرق استقصاء الرأي العام ومراحله:

طبقاً لأداة الاستفتاء ولطبيعة البيانات الناتجة، يمكن القول بأن هناك طريقتان لاستفتاء الرأي العام:

الطريقة الأولى: هي الطريقة الكمية وهي التي تقدم لنا النتائج في صورة أرقام أو إحصاءات رياضية أو رسوم بيانية، وتتصف طريقة الاستفتاء أو المسح العام وتحليل المضمون والمقابلة وقياسها.

الطريقة الثانية: هي الطريقة الكيفية، وتستخدم الكشف عن مدى قوة اتجاهات الرأي العام المباشرة وطريقة المناقشة الجماعية والطرق الإسقاطية بمختلف أنواعها.

وتتلخص أهداف الاستفتاء بالنقاط التالية:

1.تحديد أهداف الاستقصاء.

2. وضع خطة للاستقصاء.

3. تحديد أداة جمع البيانات.

4. اختيار العينة.

5. إجراءات الثبات والصدق.

6. اختبار الإرادة.

7. إدارة البحث.

8. تجهيز البيانات.

9. عرض البيانات.

10. تحليل النتائج.

11. تبويب النتائج وكتابة تقرير البحث.

وفيما يلي شرح مختصر للنقاط السابقة:

1. **تحديد هدف البحث:** يجب تحديد المسألة أو الإشكالية المطلوب الإجابة عنها. فالمشكلة هي أساس عملية البحث العلمي، فالبحث الذي يبدأ من فراغ لا ينتهي إلا في فراغ.

2. **تصميم خطة متكاملة للدراسة المطلوبة**: التصميم المنهجي للبحث ولخطته، وبمعنى أدق هو عملية اتخاذ القرار قبل ظهور المواقف التي ستنفذ فيها هذه القرارات أو بمعنى آخر هو عبارة عن كل ما يتصوره الباحث من قرارات التي يمكن أن يستخدمها عند ظهور المواقف المختلفة المرتبطة بالظاهرة مجال الدراسة.

3. أدوات جمع البيانات مثـل " الملاحظـة / المقابلـة / الاستقـصاء أو الاسـتفتاء / أداة تحليل المضمون / الاختبارات / مقاييس التقدير / مقاييس الاتجاهات.

4. **اختيـار العينـة:** تختـار العينـة عـادة مـن مجتمـع البحـث وبالنـسبة للعينـة هنـاك اعتبارات كثيرة تدعونا لتفضيلها كأسلوب لجمع البيانات مثل:

أ. توفير والوقت والجهود والتكاليف.

ب. صعوبة إجراء الحصر الشامل بالأخص عندما يكون المجتمع كبيراً.

ت. إذا كانت الظواهر من النوع الذي لا يمكن قياسه بدقة كافية ظواهر الاتجاهات والميول.

ث. يساعد اسـتخدام العينـة عـلى تقليـل التحيـز النـاتج مـع عـدم الدقـة في قيـاس الظواهر.

ج. الحصر الشامل.

ح. إجراءات الثبات والمصداقية، وهناك عوامل تساعد على توفير الثبات والمـصداقية مثل:

- اختيار عينة بطريقة عشوائية.
- تحديد أسلوب القياس المناسب.
- تحديد طرق مواجهات المشكلات الخاصة بجمع البيانات.
- قيام أكثر من شخص بتحليل نفس المضمون ومقارنة النتائج.
- استخدام أسلوب إعادة الاختبار والمقارنة وبين النتائج.
- أسلوب تقسيم المضمون إلى قسمين وفصل الترميز إلى نصفين ثم المقارنة بينهما.

اختيار أداة البحث:

يفيد الاختبار الأولي في جوانب عديدة أهمها:

1. اختبار مدى دقة صحيفة البحث نفسها.
2. استخدام بيانات الدراسة الاستطلاعية في تحديد حجم العينة إحصائياً.
3. إبراز مدى تجاوب مفردات المجتمع.
4. الوصول إلى تقرير أدق للوقت اللازم والتكاليف.
5. اختبار كفاءة جهاز التنفيذ.

إدارة البحث:

عند البدء بجمع البيانات من الميدان يجب تهيئة مجتمع البحث وتدريب المساعدين.

تجهيز البيانات:

بعد جمع البيانات وتوافر صحائف البحث، يقوم الباحث بإجراء المراجعة ثم الترميز، وأخيراً تفريغ البيانات.

عرض البيانات:

يتلخص عرض البيانات في ثلاثة طرق رئيسية:

1. العرض اليدوي.
2. العرض البياني.
3. العرض التصويري.

التحليل والتفسير:

هي عملية يجريها الباحث في وقت تكون فيه كل المعلومات والحقائق والأرقام والأفكار قد أصبحت في متناوله. أما التفسير فهو ضرب من يستطيع الباحث أن يكشف عن العوامل المؤثرة في الظاهرة المدروسة.

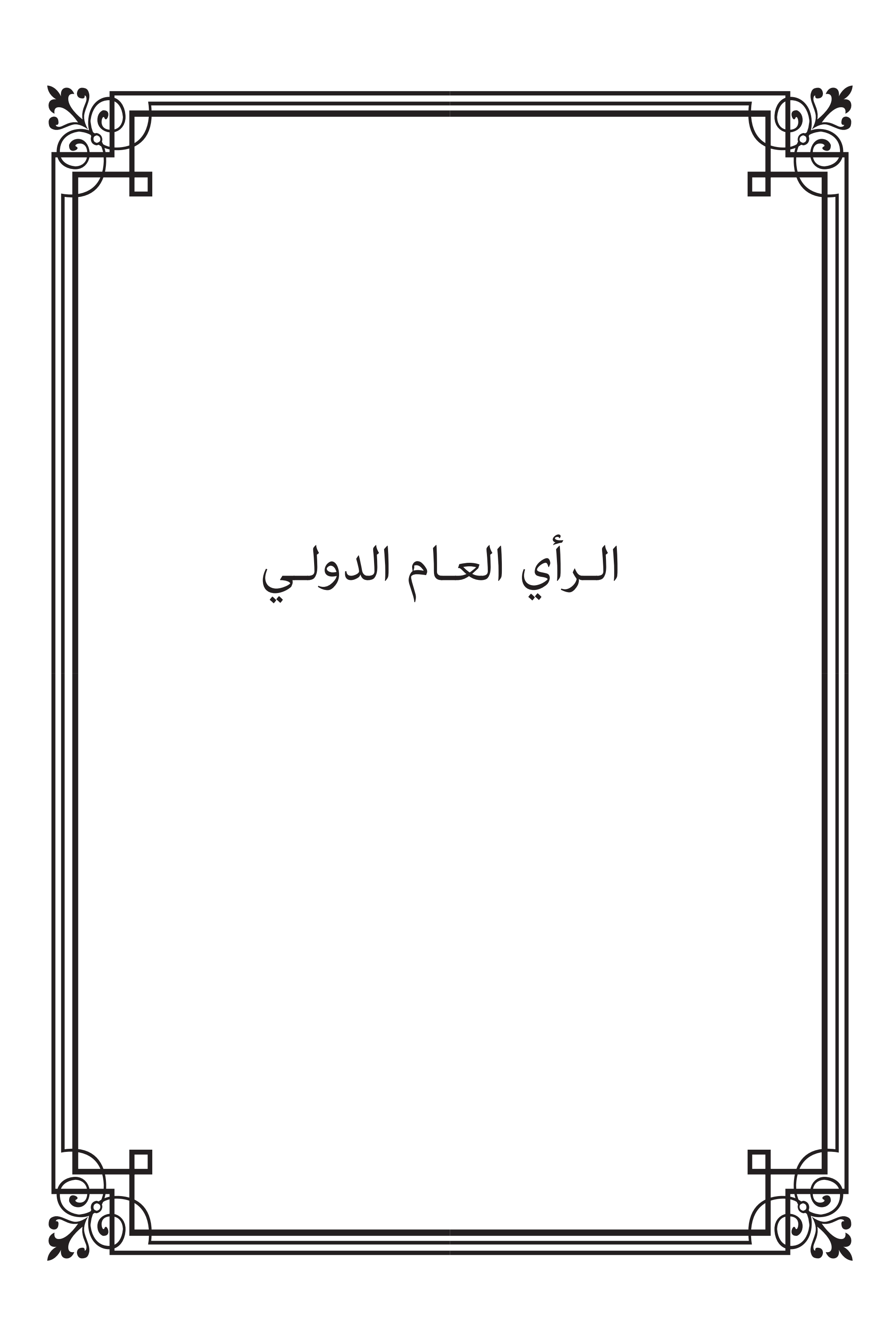
كتبة تقرير البحث:

ويشتمل على محتوى التقرير وتبويب التقرير، وأخيراً هوامش البحث، ومراجعه ومصادره.

ملحوظة:

إعتمدنا في هذه المحاضرة على مصادر شتى وأهمها للاستفاضة والتخصص ننصح بقراءة مؤلف

الدكتور محمد منير حجاب: أساسيات الرأي العام، القاهرة، 1998



الـرأي العـام الدولـي

الرأي العام الدولي

بوصفه أحد العناصر المؤثرة في القرار السياسي

هناك مجموعة هامة من العناصر، والتي لا تقع تحت سلطان الدولة بصفة تامـة، إلا أن لها التأثير الكبير على القرار السياسي وأسـلوب عمـل الـسياسيين، وربمـا قـد تـستطيع الدولـة إن أحسنت إستخدام ما بحوزتها من قدرات للتأثير في الرأي العام، أن تحدث تغـيراً يتفـاوت قـدرة وتأثيرة بحسب جوهر الموضوع، وحسن إستخدام الوسائل.

ونقصد بمجموعة العناصر الخارجية:

مجموعة العناصر الخارجية: وهي تلك العنـاصر المـؤثرة عـلى القـرار الـسياسي والتـي لا تخضع بصورة مباشرة لسلطات الدولة، أو أنها تفرض أنماطاً وأساليب معينـة في التعامـل معهـا، ويعتمد حسن تنفيذ القرارات السياسية إلى حد بعيـد عـلى مـدى دقـة ردود أفعالهـا ومواقفهـا الحالية والمستقبلية.

ومن أبرز العناصر الخارجية:

- عناصر مسرح السياسة الدولية.
- عناصر الرأي العام الدولي.
- القانون الدولي.

أ. عناصر مسرح السياسة الدولية:

وهي مجموعة الفعاليات التي تدور على مستوى السياسة الدولية، وهـي تمثـل مـصالح الدول المتماثلة أو المتنافرة، وتمارسها عبر تحالفات سياسية واقتصادية وعسكرية، وعبر فعالياتهـا الدبلوماسية في بعثات سياسية دائمية أو مؤقتة، أو في المؤتمرات والمنظمات الدولية.

وفي هذا المجال، فإن الدبلوماسية تعد الأداة الرئيسية للسياسة الخارجية، وهي لا تعنـي حصراً عمل السفارات، بل تعني في معناها الشامل، فن التوصل إلى إبرام المعاهدات والاتفاقيات القابلة للتنفيذ في ظل قدر معقول من التكافؤ.

وبالإضافة إلى مساهمة الدبلوماسية الرئيسية في تنفيذ القـرار الـسياسي الخـارجي، فإنهـا تعد(وسنتطرق إلى ذلك بمزيد من التفصيل في بحث العناصر الرافدة) أحدى القنوات المـساهمة في رفد القرار السياسي بالمعطيات الضرورية.

وقد قادت تطورات عديدة إلى أن يتميز مسرح العلاقات الدوليـة بـسمات وظـواهر عديدة، فهناك التكـتلات الـسياسية والاقتـصادية والعـسكرية، أو في المقابـل، التناقـضات في عالم العلاقات الدولية، وما تـشهده بـصفة شـبه مـستمرة مـن تـوتر وتـدهور في العلاقـات الدولية. وتوفر العديد من بؤر التوتر في بقاع شتى من العـالم الفـرص لتحولهـا إلى صراعـات مسلحة، ولم تفلح الأساليب الدبلوماسية لحد الآن لنزع فتائل الالتهاب في بـؤر التـوتر تلـك، إما بسبب التعقيد الشديد الذي يكتنف تلك البؤر والأزمات، أو بسبب تـضارب في المـصالح الحيوية للـدول العظمـى المهيمنـة عـلى مـسرح العلاقـات الدوليـة. فقـد شـهد العـالم عـلى

مدى القرن العشرين تحولات مهمة في موازين القوى، قادت إلى حربين عالميتين، والعديد من الحروب المحلية التي لم تكن أيادي القوى العظمى وأدواتها بعيدة عنها، كما شهد العالم صعود إمبراطوريات وأفول أخرى، اختتمت في نهاية القرن بنهاية القطبية الثنائية، وببروز ما يطلق عليه عصر القطبية المنفردة، وعصر العولمة.

ولابد أن يتأثر القرار السياسي بتلك المصالح المتنافرة، ونادراً ما يلقى موقفاً التأييد المطلق أو الشجب المطلق من جميع الأطراف الدولية على مسرح العلاقات الدولية، وبهذا المعنى، فإن القرارات السياسية لدولة ما(ولا سيما في البلدان النامية)لا بد له أن يأخذ بالحسبان ردود الأفعال المحتملة للدول الكبرى أو أن يمس مصالحها، حتى وإن كان صانعوا القرار السياسي لم يقصدوا بالضبط استفزازها أو الإساءة إليها.

وعلى الأغلب، ولا سيما إذا كان ذلك يمس مشكلة سياسية، فإن القرار السياسي سيجد مؤيديه في الساحة الدولية، كما سيجد معارضيه وخصومه، أو أطرافاً تجد في التزام الحياد تحقيق لمصالحها، وفي هذا الإطار فإن الاحتمالات التي تواجه صانعوا القرار:

1. دائرة القوى المؤيدة المحتملة(أصدقاء مساندين ـ أصدقاء مشاركين، مؤيدين مادياً ـ مؤيدين معنوياً ـ مؤيدين لفظياً)
2. دائرة القوى المعارضة المحتملة(معارضين في الموقف العلني، خصوم مؤيدين للعدو، خصوم مشاركين للعدو).
3. دائرة القوى المحايدة المحتملة.

بيـد أن الفعاليـات الـسياسية والدبلوماسـية قـادرة عـلى تقلـيص دوائـر المعارضـين إلى محايدين، والقوى والأطراف المحايدة إلى قوى صديقة مؤيـدة، والعمـل في الـساحة الدوليـة بمـا يمنح القرار السياسي المزيد من احتمالات وفرص النجاح.

ومن البـديهي، ويبـدو ذلـك واضـحاً وجليـاً، أهميـة مـسرح العلاقـات الدوليـة واعتبـار اتجاهات القوى على نجاح القرار السياسي أو فشله، فتأييد المجتمع الدولي لا يقتصر مزاياه على الدعم الأخلاقي أو المعنوي، فذلك له أهميته أيـضا، بـل وينطـوي كـذلك عـلى الـدعم الـسياسي والاقتصادي والعسكري، بتقديم التسهيلات بصفة عامة، لا سيما في المواصلات وتقـديم القـروض والمعدات، أو بالعكس في حجب هذه التسهيلات.

ب: عناصر الرأي العام الدولي:

وهـي تلـك العنـاصر التـي تعكـس اتجاهـات ووجهـات النظـر في القطاعـات الـسياسية والاقتصادية والاجتماعية كما تمتلك الإمكانيات في التأثير على وجهات نظر السكان.

ومن أبرز تلك العناصر، الأحزاب السياسية والمنظمات والجمعيات التـي لهـا اهتمامـات دولية والتي تتمتع أبحاثها ونشاطاتها بتقدير واحترام الأوساط الدولية، وأيضا الـصحافة لا سـيما تلك التي تتمتع بتأثير واسـع عـلى أذهـان القـراء وقنـاعتهم، وكـذلك وكـالات الأنبـاء المـشهورة الواسعة الانتشار والإذاعات ومحطات التلفزة والفضائيات.

ويتأثر صانعوا القرار السياسي بالرأي العام الدولي حيال أي مشكلة سياسية في العـالم لمـا لتلك الأجهزة من تأثير على وعي النـاس وبلـورة اتجاهـاتهم الفكريـة والـسياسية، فـلا تـستطيع حكومة ما أن تتخذ قراراً يتعارض بصورة جوهرية ومطلقـة مـا هـو مـدان أخلاقيـاً وسياسـياً في أذهان مواطنيها، وفي مثل هذه الحـالات يـصح اعتبـاره أحـدى المـؤثرات عـلى القـرار الـسياسي وصانعيه.

وغني عن القول أن أراء وأحكام قوى الرأي العـام الـدولي ليـست عـلى الـدوام محكمـة ودقيقة، كما أنها ليست مستوية، وقد يحدث أن تضلل قطاعات واسعة مـن النـاس بالـدعايات التي تبثها بعض قوى الرأي العام التي تناصب قضية معينـة العـداء، فـالإعلام الـوطني في هـذه الحالة يبذل ما في وسعه لتصحيح الحقائق وإبرازها بما يخدم القرار السياسي وأغراضه.

وتنحاز أجهزة الإعلام وسائر القوى المـؤثرة عـلى الـرأي العـام بدرجـة كبـيرة إلى الاتجـاه السائد في بلادها، فالصحافة في البلـدان الرأسـمالية الكـبرى تعكـس عـلى الأغلـب مـصالح تلـك البلدان، فلا يمكن على سبيل المثال توقع تأييـدها البلـدان الناميـة ومـساعيها في الـسيطرة عـلى ثرواتها الطبيعية وتأميم ممتلكات الدول الأجنبية فيها، غير أن ذلك لا يعنـي أن عمـلاً دؤوبـاً لا يحقق نتائج إيجابية ويكسب احترام الفئات المنصفة العادلة وأن يحقـق اعترافـا بـالأمر الواقـع وبشرعية القرار السياسي الوطني.

فعـلى سـبيل المثـال: اعتـبرت أجهـزة الإعـلام في الـدول الأوربيـة لا سـيما بريطانيا وفرنسا(حتى تلك التي تتسم بالرزانة) خطـوة مـصر الوطنيـة والـزعيم

الوطني والقومي جمال عبد الناصر بتأميم قناة السويس عملاً من أعمال القرصنة، ولم يكن بمقدور الدعاية الوطنية المصرية آنذاك الرد بنفس مستوى القوة والإنتشار، ولكن وبمرور الزمن تراجعت تلك الأجهزة عن مواقفها، بل رأى العديد منها في أوقات لاحقة، أن عملية تأميم قناة السويس كانت عملاً وطنياً لا بد منه لتمويل برامج وخطط التنمية وبناء سد أسوان العالي على أعالي نهر النيل، وإنتاج الطاقة الكهربائية للصناعة الناهضة وأحداث ثورة في الاقتصاد الوطني المصري.

أما الأنشطة الدعائية، فهي مجموع العمليات التي تحاول تكوين رأي عام عن طريق التأثير في شخصيات الأفراد من خلال دوافعهم وانفعالاتهم ومفاجأتهم بالأخبار والتهويل فيها وقد لا تخلو من تقديم الوعود الكاذبة.

ج: القانون الدولي:

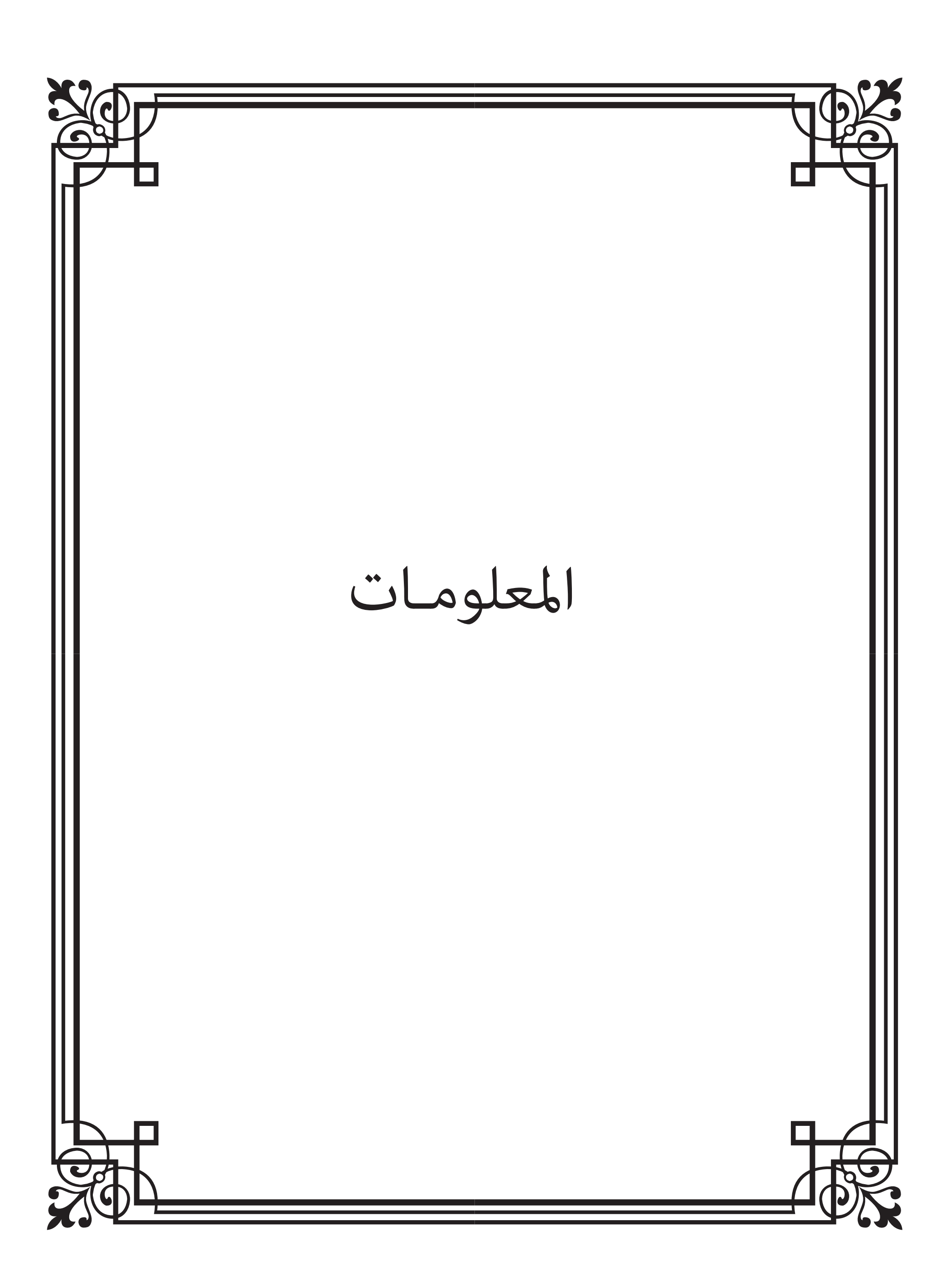
ونقصد به في معرض بحثنا هذا، القوة المادية والمعنوية التي تمتلكها مؤسسات القانون الدولي المولجة بتنظيم العلاقات بين الدول والأفراد. ولا بد لصانعي القرار السياسي من مراعاة القانون الدولي والحرص أن لا تمثل قراراتها خرقاً فاضحاً الذي قد ينتقل تأثيره من الطور الأخلاقي وهو ما عليه الحال في الأغلب، وتأثيراته الدعائية(لاحظ تأثيرات وعلاقة ذلك بالرأي العام العالمي)إلى طور تتخذ فيه المؤسسات الدولية العقوبات مثل الإدانة والمقاطعة السياسية والاقتصادية، وفي هذه الحالة فإنه يلحق دون ريب الأضرار البالغة بهدف القرار السياسي.

وتعتبر محكمة العدل الدولية أهم مركز من مراكز القانون الدولي، ولكن محكمة العدل الدولية لها نقاط الضعف وأهمها، أنها لا تعالج ألا تلك القضايا التي تحصل فيها على موافقة الدولة المعنية بالمشكلة، وبعد صدور قرارات المحكمة تحال للتنفيذ عن طريق مجلس الأمن. بحكم طبيعة المحكمة وطبيعة عملها، فإن المحكمة بعيدة نسبياً عن أجواء الأزمة وتفاعلاتها، ولكن محكمة العدل الدولية التابعة إلى الأمم المتحدة تعالج القضايا الناجمة عن ترسيم الحدود، أو قضايا ممتلكات الدول، والحقوق، وتحكم المحكمة في القضايا التي تحال إليها ولكن اختصاصات فضها تنتقل إلى منظمة الأمم المتحدة والتي لا تغيب القوانين الدولية عن ظروف معالجتها للأزمة.

ومجلس الأمن، هو المؤسسة الأكثر تماساً بالمشكلات الدولية والأكثر فاعلية، وفي حالات ليست شائعة، تتجاوز قرارات مجلس الأمن إطارها الأدبي والأخلاقي بقرارات مثل الإدانة أو بالتوصيات أو المناشدة بضبط النفس وحل المشكلات الدولية من خلال المفاوضات، وتقترح رعايتها لها، وقد تتجاوز هذه الإجراءات(التوصيات والمناشدة) إلى إرسال قوات عسكرية تؤلفها من بين الدول الأعضاء في الأمم المتحدة في مهمات مختلفة، كالفصل بين القوات المتحاربة، أو لضبط مخالفات التجاوز على الحدود الدولية، أو لمراقبة تنفيذ الهدنة ومساعدة الحكومات الشرعية بإعادة النظام. بيد أن ذلك كله يبقى في إطار موافقة الأطراف المتنازعة على قبول مساعي الأمم المتحدة ومجلس الأمن وأنها تتأثر إلى حد بعيد بإرادة ورغبات الدول الكبرى الدائمة العضوية في مجلس الأمن.

فالقوات الدولية بهذا المعني هي قوات تتمتع بقوة الشرعية الدولية وشرعية القوانين الدولية بالدرجة الأولى أكثر من قوتها كقوات محاربة تعتمد على القوة النارية لأسلحتها، لذلك فهي غير مزودة بالأسلحة الثقيلة أو الهجومية وليس من مهماتها التخطيط والدخول في المعارك، ويلاحظ حتى في استخدام القانون الدولي للسلاح، فإن الطابع الأدبي والأخلاقي هو الغالب السائد أكثر من الجوانب الأخرى.

وبرغم أن مؤسسات القانون الدولي لا تمتلك أن تكون حاسمة في إطار القانون الدولي، بيد أن ذلك لا ينبغي أن يدعو إلى الاستخفاف بها، فإن خروق متواصلة ومتعددة من شأنها أن تؤدي في النهاية إلى الإدانة والاستهجان والاشمئزاز وإلى عزل تلك الدولة الذي قد يصل إلى حد طردها من الأمم المتحدة وحرمانها من هذا المحفل الدولي الممتاز، وإثارة الشكوك في شرعية وجود هذه الدولة وفي جدوى التعاون الدولي معها واحتمال حرمانها من مزايا العمل في إطاره ذي المنافع على مختلف الأصعدة السياسية والاقتصادية والفنية والثقافية والإنسانية، كما جرى مع دولة جنوب أفريقيا وروديسيا التي أدى تعاظم الإدانة الدولية لها، إلى إنهاء حكم الأقلية العنصرية البيضاء فيها، وقيام جمهورية زمبابوي المستقلة، وكذلك إنهاء حكم الأقلية البيضاء في جنوب أفريقيا.



المعلومات

المعلومـات

دورها في الإعلام والرأي العام

وبوصفها رافدة للقرار السياسي

هناك مجموعة من العناصر التي تعتبر رافدة أساسية لصناع القـرارات الـسياسية، ومـن أهم تلك العناصر هي المعلومات. وإلى جانب المعلومات، هناك الأدلة النظرية التي يسترشد بها صناع القرارات أو يستأنسون بها، كونها نتـاج عمليـة تـاريخي / فلـسفية، إسـتخدمتها حركـات وشعوب وقد تعتمد عليها في عملية تـشكل الـوعي الـسياسي، وتـدخل مـن جهـة أخـرى فـاعلاً أساسياً في حملات الدعاية للتأثير في الرأي العام.

العناصر الرافدة : هـي تلـك العنـاصر التـي تعـين وتـساعد صـانعي القـرار الـسياسي في تـشكيل نهـج تـصرفها التكتـيكي والاسـتراتيجي في معـرض الحاجـة إليـه وفي عمـوم ممارسـاتها السياسية في مواقع المسؤوليات القيادية للدولة.

ويستحق أن نؤكد العناصر المؤثرة لها من فاعلية في إنجاح القرار أو إفشاله، كما لاحظنـا في جميع تلك المؤثرات الأهمية البالغة في طريقة تصرف صـانعي القـرار الـسياسي إزاء المواقـف والأحداث التي تتطلب قراراً سياسياً، والضرورة لأن يكون ذلك القـرار ملائمـاً شـكلاً وجـوهراً إلى العناصر المؤثرة التي كما ذكرنا تقع في معظمها خارج سلطان صـانعي القـرارات، وبالتـالي ومـن أجل إنجاح عملية تنفيذ القرارات، لا بد لصانعيها من اعتماد أفضل وأدق الوسائل استجلاء آثار تلك المؤثرات وفاعليتها على قراراتها وإحداث التأثير عليها قدر المكان لتكون عنـاصر إيجابيـة لا سلبية على طريق التنفيذ.

وبتقديرنا هناك رافدان أساسيان لصانعي القرار، وهي بـنفس الوقـت جـزء مـن عمليـة تشكيل الوعي عبر أجهزة الدعاية والإعلام والرأي العام داخل البلاد وخارجها:

أ. المعلومات.

ب. الدليل النظري.

آ . **المعلومات** : وهي مجموعة معطيات الواقع المادي الملموس التي تجمع وفـق أسـس ونظام يوفر قدراً من التدقيق والتنسيق بين المعلومات المتوفرة بحوزة الدوائر المختصة من أجل تأمين أقصى قدر من الإفادة توضع في خدمة صانعي القرار السياسي.

وجمع المعلومات مهمة تتطلب غاية في الدقة والانضباط، فلا ينبغي هنا الخلـط بين المعلومات والتحليل والآراء الشخصية أو بين المعلومات وبين الاحـتمالات، وإذا كـان للأجهـزة الرافـدة مـن دور في التحليـل أو الخـوض في تقـدير الاحـتمالات، فيجـب أن يكون ذلك منفصلاً وبوضوح تام عن حقـل المعلومـات، كـما ينبغـي أن تكـون الأجهـزة الرافدة بعيدة كل البعد عن أحكام الهوى، وبنفس الدرجة بعيدة عن المحاباة ومداهنة أوساط القرار السياسي، فلا بد للعناصر الرافدة من اسـتيعاب دورهـا الخطـير في صـناعة القـرار الـسياسي وبالتـالي في الأمـن القـومي والمـصالح الوطنيـة العليـا، وهـي مـسؤولية تستدعي دون شك أقصى قدر من الدقة والانضباط، وعزلها بصورة تامة عـن العواطـف والأهــواء الشخــصية، فلــيس نــادراً مــا أدى خطــأ ارتكبتــه العنــاصر الرافــدة إلى

مضاعفات سلبية على مسيرة الفعاليات السياسية، وأضاعت جهوداً وتضحيات كثيرة، بالإضافة إلى الخسائر المادية والمعنوية.

ولا تنتهي مهمة العناصر الرافدة في جمع المعلومات فقط، فالعبرة لا تكمن في ذلك ووحده، بل وفي سبل الاستفادة الحقيقية المثمرة من هذه المعطيات ضمن نظام معلومات تتفاوت اليوم دقته وكفاءة إدارته والتقنيات المستخدمة فيه من دولة إلى أخرى، وإن كانت منجزات العلم قد انتشرت بصورة كبيرة: أجهزة الحاسوب التي انتقلت إلى مرحلة الاستخدام المنزلي والشخصي، والاستخدام الكثيف لشبكة المعلومات الإلكترونية (الانترنيت) وانتشار غير مسبوق لمحطات التلفزة عبر الأقمار الصناعية، والهواتف الجوالة(الموبيل)، والهواتف التي تعمل عبر الأقمار الفضائية، وما إلى ذلك من تسهيلات في أجهزة الاتصال والمعلومات، ولكن المسألة الجوهرية تكمن في كيفية الاستفادة من أكداس المعلومات الهائلة، والقدرة على تحليلها بدقة قد لا تحتمل الخطأ.

وتدل معلومات وأحداث تاريخية كثيرة أن موظفين نابهين توصلوا إلى معطيات سياسية أو اقتصادية عميقة المدلول والأهمية، إلا أنها قوبلت باستخفاف أو بقلة اكتراث أو أنها عوملت بروتينية صرفة، وأخذت وقتاً طويلاً في التداول بين المكاتب البيروقراطية، أو ربما أنها تركت منسية في أحدى الأدراج، كانت ستعود بأعظم الفوائد لو أنها لقيت آذاناً صاغية وعيوناً مفتوحة والمتابعة الضرورية، أو لو أنها أضيفت بعناية مع تفاصيل أخرى وردت بنفس الوقت أو بأوقات سابقة لتضيف إلى صورة الموقف وضوحاً واستقراراً، ولو لقيت هذه المعلومات تحليلاً سليماً من خبير كفء، وقد تكون هذه المعلومة

وإجراءات عملها حاسمة، في جلاء غموض ما يكتنف تلك الـصورة، وتـسهل أمـر تحـرك مهـم في ظرفه الزمني والمكاني، وتوفر على صانعي القرار متاعب جمة.

وفي إطار بحث العناصر الرافدة للمعلومات والتحليل، فإننا نقدر أهمية قناتين:

الأولى : الجهاز الدبلوماسي.

الثانية: الجهاز الاستخباري.

الجهاز الدبلوماسي:

يعني الجهاز الدبلوماسي بالدرجة الأولى بتقديم المعلومـات عـن طريـق الاتـصالات بـين الدول والممثلين الرسميين لحكومة بلاده، وليس له أن يتنازل عـن صـفته هـذه، وذلـك مـا يمـنح المعلومات التي يحصل عليها طابع الرسمية، وقد تكون معلومات الدبلوماسية شـحيحة، إلا أنـه بعيدة عن الخطأ وأحكام الهوى والانفعال، كما يفترض أن تكون بعيدة عن المبالغة بحكم كونها صادرة عن موظف سياسي محترف.

وبطبيعة الحال تندرج ضـمن معلومـات الـدبلوماسي، تلـك المعلومـات التـي تهـتم بهـا الصحافة العالمية والمعاهد والمؤسسات العلمية والقوى السياسية في البلدان التي يعملـون فيهـا كدبلوماسيين معتمدين، أو ربما في الحـصول عليهـا عـبر الوسـائل الممتـازة التـي أتاحهـا التقـدم العلمي والتكنيكي.

وتمد هذه المصادر الدبلوماسيين بحشد واسع من المعلومات التي يفترض أن يكون الدبلوماسي على قدر كبير من الكفاءة والنزاهة والحصافة في استلام هذه المعلومات المدعمة بالحقائق، ثم الدقة والأمانة في ضخها إلى المركز.

ومن البديهي، فإن للبعثة أن تبدي رأيها، ولكن بصورة منفصلة تماماً عن المعلومات، وأن يكون لها رأيها مدعماً بالبراهين والأسانيد والأدلة، كما ينبغي لها أن تكون بنفس الوقت ذات قدرة على تجنب الوقوع في فخ المعلومات المعدة للتضليل، فالصحافة وأجهزة الإعلام بصفة عامة قد تعمد إلى المبالغة بتقديم المعطيات الواقعية أو تقليصها، سيما إذا كانت تلك المعلومات ذات مغزى سلبي على سير الأحداث في قضية معينة.

ومن الضروري إذن، أن يتمتع الدبلوماسيون بالقدرة على استخلاص حقائق موقف من بين حشد واسع من المعلومات المنشورة بالإضافة إلى قدرة ممتازة على تحليل المعلومات والإحصائيات ومقارنتها بالواقع الموضوعي الذي يعيشه في البلاد المعتمد لديها، واستخلاص المغزى السياسي وإجراء عملية تقاطع للمعلومات التي يطلع أو يحصل عليها بشكل متناثر من أكثر من مصدر واحد، فتراكم كم من المعلومات الصغيرة قد يقود في المدى البعيد(نسبياً) إلى مغزى سياسي هام.

الجهاز الإستخباري:

إذا كان الجهاز الدبلوماسي، هو الجهاز المعني (ضمن مهمات وواجبات أخرى) بجمع المعلومات عن طريق الاتصالات التي تتم على الأغلب بصورة علنية أو شبه علنية، فإن الجهاز الإستخباري هو ذلك الجهاز المدرب والمهيأ

بوصفه أحد أجهزة الدولة، بجمع المعلومات في إطار دعم القرار السياسي وصيانة الأمن القومي، فهو الجهاز المعني بجمع المعلومات التي تدور في محيط ضيق تغلب عليه السرية والكتمان، ولا شك فإن صفات الدقة والنزاهة لا بد أن تكون من الصفات الأساسية للعاملين في هذا الجهاز وفي إطار هذه المهمة.

والحديث عن الأجهزة الإستخبارية مهمة تتجاوز بحثنا هذا، وقد تحولت في عالم اليوم إلى أجهزة تتدخل المعطيات التقنية في أبسط تفاصيلها، وتحولت إلى علم له أسسه وقواعده، يدرس في معاهد متخصصة.

ب . الدليل النظري:

وهو ما يعني الأداة التي تحلل المعلومات استناداً إلى الفلسفة والتي هي منهج في تفسير الظواهر ومحاولة وضع القوانين لها، وفي ذلك فإن الممارسة عبر التجارب التاريخية تلعب دوراً هاماً في صحة الدليل النظري وتحديد صلاحياته العملية في زمان ومكان محددين.

والدليل النظري الذي نقصده في إطار بحثنا هذا هو حصيلة عاملين رئيسيين:

1. **النظرية العامة للدولة:** وهي ما يعني الاستناد إلى منهج فلسفي في تحليل الظواهر.
2. **التجربة التاريخية:** وهي تعني التراكم في الخبرة والتجربة، التي هي بحوزة الحركة السياسية أو الشعب بأسره.

1. النظرية العامة للدولة:

ونعني بها الاتجاهات الفكرية والفلسفية ومنطلقاتها، أو منهج السلطة في العمل السياسي الداخلي والخارجي.

ويمثل الدليل النظري يمثل جوهر سياسة الدولة، بيد أن ذلك لا يمنع أن تتخذ الدولة إزاء قضية من القضايا موقفاً لا ينسجم تمام الانسجام مع اتجاهاتها النظرية تحت ضغط عوامل وظروف تحتم عليها ذلك، وتعدها مناورة سياسية لا بد منها لتفادي مخاطر جسيمة قد تلحق بالأمن القومي، أو تعد ذلك خطوة تاكتيكية على طريق هدف استراتيجي أكثر أهمية وشمولاً وفائدة، أو إقراراً بالخطورة تفوق في تفصيلاته قدرة الدولة على التحكم بمساراته أو تفادياً لخسارة أعظم، بيد أن الدليل النظري يبقى بالرغم من ذلك مفتاحاً صالحاً لتحليل الاتجاهات السائدة الأساسية في دولة ما، وكذلك على التنبؤ بردود أفعالها المحتملة، حالياً أو في المستقبل بوصفه مؤشر لتصرفها.

2. التجربة التاريخية:

وهي حصيلة الدروس المستفادة من ممارسات وتجارب سابقة مارستها أوساط القرار السياسي، أو الاستفادة من تجارب دول وشعوب أخرى، تمت في ظروف مماثلة أو متقاربة مع تقدير ضروري لتفاوت التجربة وخصائص المجتمعات والسكان وتقاليد العمل والحياة المختلفة.

ومن الأمور الجوهرية في هذا المجال، الاستفادة من الممارسات والتجارب السابقة وتحليل نتائجها السلبية والإيجابية بشكل واقعي ودقيق، وفقط من خلال الممارسات يمكن أغناء الدليل النظري واكتشاف الثغرات واستنباط أفضل

الوسائل واختيار أنسب الظروف بصدد أية قضية يعالجها صانعوا القرار السياسي.

ولا تكتفي الممارسة بدراسة تلك الخصائص، مع أنها تسهم بشكل فعلي في بناء الشخصية القيادية لصانعي القرار والثقة بالنفس، ولكن تراكماً في التجارب والممارسات تشكل بالتالي تجربة تاريخية تسلح صانعي القرار بالحكمة ودقة في صياغة القرار وبراعة في الممارسة والتنفيذ، فليس نادراً أن ترتكب قيادات سياسية(حديثة العهد بالعمل القيادي أو قليلة التجارب السياسية واتخاذ القرارات الكبيرة) أخطاء في سياق اتخاذ القرار السياسي وتنفيذه، رغم أنها تمتلك دليلاً نظرياً ناضجاً، وإن كانت قد ثبت صحته بالممارسة في دولة أخرى، بل وحتى مارسته ذات القيادة ولكن في ظروف ومعطيات مختلفة.

ومن الواضح تمام الوضوح، أن قيادة سياسية متمرسة تمتلك خبرة وتجربة طويلة تتمتع بقدرة أوسع على اختيار الوقت المناسب بدقة وبأسلوب طرح قرارها، وكذلك القيام بسائر الأعمال التمهيدية لإنجاح قرارها من حيث تهيئة الأجواء المناسبة وكذلك في أسلوب تقسيم هدفها الاستراتيجي إلى مراحل إذا كان من العسير طرحه وتنفيذه في مرحلة واحدة، إذ قد يستفز أطرافاً أخرى، بل وحتى الحلفاء أحياناً قد يجدون أن الهدف طموح وكبير قد يرتب على كاهل تحالفهم واجبات والتزامات يجدونها ثقيلة.

ومثل هذه المواصفات والقدرة ضرورية لصانعي القرار السياسي من أجل استخدام أمثل للدليل النظري، فالدليل النظري أشبه ما يكون بالسلاح، ولكن مستوى التدريب والكفاءة في طرق استخدامه، ومواصفات حامله في الثبات

والهدوء والجرأة والشجاعة ضرورية من أجل استخدامه بما يؤدي إلى النجاح والنصر.

ولا تقود التجربة التاريخية الغنية، الزاهرة إلى وعي القيادات السياسية فحسب، فالشعوب تكون تجاربها التاريخية عبر صراعات طويلة أو عبر تجارب طويلة في مجالات الحياة المختلفة: السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية. وحسنة أية قيادة سياسية ليس في استقراء تجربتها في العمل السياسي فحسب، بل والاستلهام من التجربة التاريخية لشعبها أيضاً، والاستفادة من تجارب شعوب أخرى مرت بذات المحن والتجارب واجتازتها.

وبطبيعة الحال، فإن العنصر الأساس في هذه العملية بأسرها هي درجة التحام أي قيادة بشعبها وبأهدافه، وإيمانها بهذه الأهداف والتطلعات، ومن هنا فإن قرارها السياسي يكتسب إلى جانب شرعيته الدستورية والقانونية، شرعية وطنية وشعبية، وهذه الأخيرة تمثل الشرط الأساس والأول في نجاح أي قرار سياسي، وينتقل القرار السياسي ونتائجه، سواء في حالة الفشل، أو النجاح، إلى تراث الشعب وتاريخه.

وفي الواقع فأن أهمية المعلومات، هي غاية في الأهمية وكذلك عملية صقل المعلومات ومقاطعتها وتدقيقها بصفتها النهائية لتقدم إلى الدوائر المعنية بإنضاج القرار السياسي، وبالتالي اتخاذه، وهي بهذا المعنى تلعب دوراً بالغ الأهمية والخطورة في هذه العملية الهامة.

المصادر من حيث طبيعتها:

إذا علمنا مصادر المعلومات وهي كما مرت علينا متعددة، فإننا سنقسمها إلى صنفين رئيسيين من المصادر.

1. المصادر العلنية.
2. المصادر غير العلنية.

المصادر العلنية:

المصادر العلنية وهي ليست قليلة في إطار جمع المعلومات لتقييم شأن ما من الشؤون المادية أو المعنوية. وإذا تولى موظفون متدربون أكفاء هذه المهمة، فسوف يحصلون على معلومات وافرة، سيما وأن الثورة العلمية التكنيكية في عصرنا الراهن(الألفية الثالثة) قد أتاحت للباحثين والعاملين في إطار المعلومات وسائل كانت تبدو حتى لبضعة عقود حلماً من الأحلام، أو فتوحات علمية تختص بها دوائر الدول العظمى.

فالإنترنيت يتيح لنا اليوم وفرة هائلة من المعلومات، بما في ذلك خرائط من الأقمار الصناعية، وكتب ومراجع ومعلومات لا حصر لها بشكل شبه مجاني، وإذا صار بالإمكان تدريب عناصر بدرجة المهارة الرفيعة، بوسعهم الاستفادة غير الاعتيادية، ولكن الأمر يتطلب بصفة حاسمة عناصر مدربة وبدرجة كفاءة رفيعة من أجل تقديم ناتج بدرجة عالية من الجودة.

والإعلام المرئي والمسموع، والمقروء، قياساً إلى ما قبل عقود قليلة، قد تضاعفت وبهذا الحجم الواسع، توفر المعطيات للباحثين، فالصحافة أصبحت

تضم في عدادها، عدا الصحف اليومية، نشريات ومجلات نصف فصلية وفصلية ونـصف سـنوية وسـنوية، وهنـاك مطبوعـات متخـصص في ضرب معـين مـن الثقافـة، بـل وحتـى هنـاك مجلـة ومطبوعات كثيرة تنشر أحدث أنباء الجيوش والتسلح وأنباء علمية عن تكنيـك الـسلاح، وكـذلك يحق القول عن القنوات التلفازية، التي غذت بالمئات، ولكن المتلقي والمتتبـع عليـه أن يتـصدى لمهمة المتابعة بمعلومات غزيرة وتدريب ممتاز، ومعرفة للغات، ستتيح له ملاحقة النبـأ في أكـثر من قناة وأكثر من لغة.

ومن المـصادر العلنيـة التـي تحـرص الـدول عـلى إطـلاع المكلفـين بجمـع المعلومـات في السفارات الأجنبية والممثليـات المعتمـدة لـديها، لتجنـب أنـشطة جمـع المعلومـات بـصفة غـير شرعية(التجسس) فتقوم وزارة الخارجية بتنظيم رحلات اسـتطلاع ومـشاهدة لمواقـع اقتـصادية وصناعية وعلمية وعسكرية، وهي بدورها مفيدة أن تمكن المكلف بالمهام استيعاب مـا شـاهده وسمعه، وتكوين أ{أ واقعية أقرب للدقة.

المصادر الغير علنية:

وغالباً فإن الدول تقوم بتحديد المواقع والشؤون التي تعدها سريـة وكـشفها قـد يلحـق الضرر بالأمن القومي وتبلغ السفارات المعتمدة لديها رسمياً تلك المواقع أو المواضيع. وهي على كل حال ليست موضع بحثنا هذا.

التعامل مع المعلومات:

ومن المهم على الأجهزة والأفراد الذين يتعاملون مع الأحداث يومياً، وتقع بين أيديهم حشد من المعلومات، وقد تكون المعلومات غزيرة وهذا بالطبع يدل على نشاط الأفراد والأجهزة المولجة بجمع المعلومات.

بيد أن هذا ليس كل شيئ، ففئة الأفراد والأقسام التي جمعت المعلومات، لا علاقة لها بخلية العمل التي تصب جميع روافد المعلومات عندها، وهي ستتولى تمحيص المعلومات والأنباء وتدقيقها، وستقارن بينها وبين تلك التي تحصل عليها من مصادر أخرى، وفي عملية المقارنة ربما ستنبثق حقائق جديدة.

وما ينبغي التأكيد عليه، أن الأجهزة والأفراد سواء تلك المعنية بجمع المعلومات، أو تلك المعنية بتدقيقها وتمحيصها ومقارنتها، ينبغي أن تكون على درجة عالية من الحرفية والكفاءة النظرية والعملية، فعليهم في الواقع القيام بمهمتين:

الأولى: التأكد من دقة المعلومات.

وستمنح الخبرة في العمل وذكاء العاملين ومستوى قدراتهم، ستمنحهم القدرة على التميز بين التضليل، والخبر والمعلومة السليمة، ومراقبة المتلقين وردود الفعل في أماكن وقنوات أخرى، وعدم إبداء رد الفعل الغريزي في مطلق الأحوال، ردود الفعل الغريزية قد تنطوي على تهور يقود إلى أخطاء متلاحقة وإلى تزويد صناع القرارات بمعطيات خاطئة ستقود إلى نتائج خاطئة.

الثانية: تجنب التضليل المتعمد في بث المعلومات.

الهدوء ورباطة الجأش هي واحدة من الصفات الـضرورية للعـاملين في هـذه المجـالات، فقد تحاول جهة معينة إستدراج منافسيها عبر بث معلومات غـير صـحيحة، بـل وإشـاعتها بـين الجماهير لتبدو أكثر حظاً في التصديق.

ـ عزل المعلومات عن التحليل:

قد تتولى دائرة عمل واحدة في بعض الحالات، القيام بالمهمتين معـاً: جمـع المعلومـات / وتحليلها.

ففي هذه الحالة، من الضروري أن تذكر المعلومات في صدر التقرير، ثـم يفـصل بـصورة واضحة لا مجال للخلط بينها وبين ما سيتبعها من تحليل للمعلومات.

والتحليل، والمكلف به، ينبغي أن يبتعد عن أحكـام الهـوى في تقـديره وتقيمـه، وبالتـالي تنبؤه بالأحداث المقبلة أو نتائج عملية سياسية معينة. ولا بأس أن يذكر المحلـل ضـمن تحليلـه، درجة تقديره للأمر، وأن تكون منطلقاته واقعية وتقديراته مادية ملموسة دقيقة، وأن يـذكر مـا إذا خمن أمراً تعوزه الدقة، أو نبأ يفتقر إلى الصحة، فضخ المعلومات هي مسألة قد تنجم عنهـا أضرار يصعب إصلاحها، وإلهاب الرأي العام قد يبدو مثيراً في البداية، ولكن الانتكاسة فيما بعـد، ستلحق تراجعاً ليس من السهل تداركه.

ـ تشخيص الأهداف البعيدة والقريبة:

في التعامل مع المعلومات، واستطراداً الإعلام، ينبغي وضع سلم تدرج الأولويات. فهناك ما هو مهم، وما هو أهم، فالأكثر الأهمية. فالعناصر الملكفة بقضايا المعلومات والرأي العام عليها أن تشخص بدقة الأهداف القريبة والأهداف البعيدة، وبهذه النسبة أو تلك أن تركز جهودها، فلا تتبعثر في ما هو قليل الأهمية.

والإلمام بالهدف يستدعي الإحاطة بجوانبه، بخطوطه الرئيسية والفرعية، وجذر القضية المركزية وتاريخها، والظروف التي تحيط بها في الوقت الراهن، ومثل هذه الاهتمامات تبعد المكلفين بهذه المهام، من الإنسياق وراء أضاليل الدعاية المضادة، ومحاولات التسلل إلى ذهن الرأي العام وتضليله.

ـ العلاقة بين العناصر السياسية والاقتصادية والاجتماعية:

دون أدنى ريب، فإن العلاقة بين العناصر السياسية والاقتصادية والاجتماعية إنما هي علاقة جدلية متلازمة متلاحمة، وأن أي محاولة للفصل بينها إنما يمثل ضرب من إضاعة الوقت، وفرصة لتمرير دعايات للرأي العام.

وتثبت لنا الحقائق التاريخية، القريبة منها والبعيدة

الأجهزة والأفراد الناقلين للمعلومات:

1. كفاءة الأفراد.
2. كفاءة الأجهزة.
3. التوصل إلى نظام معلومات متطور.



الرأي العـام و وسائـل قياسـه

هناك تعريفات عديدة للرأي العام ولكنها لا تبتعد كثيراً من كونها، أتفاق مطلق، أو شبه مطلق، أو تقارب وجهات نظر الناس ومواقفهم أو ميولهم، سواء بنتيجة معطيات عيانية واضحة، أو لإشتراكهم في هواجس اقتصادية واجتماعية واحدة أو متقاربة، أو بنتيجة خضوع الأفراد لتأثيرات الإعلام والدعاية.

وتتجه وسائل الإعلام، بصرف النظر عن صفتها التمثيلية إلى الأفراد والمجتمعات في محاولات التأثير عليهم كسب عواطفهم، وبالتالي إراداتهم السياسية في الوقوف بدرجات متفاوتة حيال القضايا السياسية والاقتصادية والثقافية / الاجتماعية المطروحة، وذلك للأهمية المتصاعدة للرأي العام في سياقات العملية السياسية وعملية اتخاذ القرارات السياسية.

وتتصاعد أهمية الرأي العام، كلما ارتفعت مكانة العناصر المؤثرة على القرار السياسي، واحترام القيادات السياسية لإرادة الشعب والناخبين وتأثيرات الرأي العام على التصرف السياسي في البلاد بصفة عامة، أو حتى على الصعيد الدولي. فيلاحظ تأثير المقالات والأفكار والأدب والرسوم الكاريكاتيرية وأفلام الكارتون والسينما والمسرح، وجميع هذه تعد مؤثرات تبلور وعي الجمهور حيال قضية معينة فتكون لها فاعلية تفوق فاعلية القمع البوليسي، أو دوي القنابل، وحتى محاولات التأثير على الرأي العام بوسائل الأنفاق.

ويطرح التقدم التكنولوجي دائماً أسليب تسهل من قياس الرأي العام، بيد أن الأساليب الرئيسية هي:

أولاً: أسلوب الاستفتاء:

وعملية استفتاء أراء الجمهور حيال مختلف القضايا، هي اليوم من أسهل وأسرع الأساليب، وهناك أساليب كثيرة في توجيه الأسئلة وطرق الإجابة عليها، تمكن من إعطاء لمحة متقاربة مع أراء الجمهور.

ويتخلص هذا الأسلوب بدراسة دقيقة لطبيعة الأسئلة، ومستواها الفكري، ودرجات الأفضلية، ثم توجه لجمهور ينظم حسب الأعمار، والتحصيل العلمي، والمهني، والاختيار يتم عشوائياً، يجيب الأشخاص على الأسئلة الواردة في الاستمارات المعدة لهذا الغرض من قبل لجنة متخصصة.

وإيصال الاستمارات (الأسئلة) يمكن أن تتم بعدة طرق، فإما عبر الصحف والمجلات، أو بتوجه مندوبين عن معاهد قياس الرأي العام إلى الجامعات والدوائر الحكومية، أو في الشارع، أو ترسل بواسطة البريد العادي أو الالكتروني (الإنترنيت)، ثم تقوم اللجنة المتخصصة بتصنيف الإجابات وجردها، وحساب النسب، وإعلان النتائج بالأرقام أو جداول خاصة، أو من خلال رسم هندسي بياني.

ويمر الاستفتاء بعدة مراحل:

أ . **الخطة العامة**: تقوم اللجنة المكلفة بدراسة موضوعة الاستفتاء، وتحديد الغرض الرئيسي المطلوب معرفة موقف الجمهور منه، وشكل الاستفتاء بدرجة عالية من الوضوح، وينبغي أن يكون الاستفتاء مطروح بشكل حيادي موضوعي، لضمان نتائج سليمة والتوصل لقياس صائب. وتحديد أساليب عرض الاستفتاء على الجمهور.

ب . **تصميم استمارة الاستفتاء:** وهي الفقـرة الأكـثر أهميـة في عمليـة الاسـتفتاء، وتلـك تكون بواسطة لجنة معدة من إختصاصيين في المجال المنوي استفتاؤه، علماء سياسة أو اجتماع، أو أطباء، وغـيرهم، وينبغـي أن تكـون الأسـئلة دقيقـة وواضـحة، ومـن المهـم جـداً أن لا يـشك الجمهور في نزاهتها، وإلا فسوف تفقد ثقة المستفتين : الدقة في اختيار الأسـئلة وطريقـة إعـداد الاستمارة، وما تتضمنه من بساطة ووضوح ومراعاة الأوضاع النفـسية وظـروف الأفـراد الموجهـة إليهم هذه الاستمارة يكون لها أثر كبير في صحة أو عدم صحة النتـائج المستخلـصة مـن عمليـة الإجابات على هذه الأسئلة.

كما ينبغي أن يـدرك القـائمون عـلى الاسـتفتاء، أنهـم يتوجهـون لجمهـور عـريض لـذلك ينبغي أن تكون الأسئلة بلغة مفهومة لا تنطوي عـلى جمـل معقـدة، أو مـصطلحات تخصـصية عالية، أو ذات استخدام مزدوج، وينبغي أن تكون مفهومة من جميع الأفراد الذين يتوجـه لهـم الاستفتاء.

جـ . **ينبغي على منظمو الاستفتاء الإنتباه في إختيار الفئات:** العمرية ومستوى التعلـيم، أو المهني بدقة، فقد تتناقض المصالح الاجتماعية، والتوجهات الثقافية وسواها من التوجهات.

لذلك فإن على منظموا الاستفتاءات، معرفة القطاع أو القطاعـات التـي يتوجهـون إليهـا بالأسئلة، وفي هذا المجال يمكن أن يكون الاستفتاء:

- **اسـتفتاء عـشوائي:** بإختيـار الأفـراد عـشوائياً دون تعـين مـسبق، ولا عـلى التعـين أو التشخيص.

- **استفتاء موجه:** وهي عندما يتوجه الاستفتاء نحو أطباء مثلاً لمعرفة رأيهم بمستوى الأداء الطبي، أو لمدراء المستشفيات تخصيصاً لإستبيان أرائهم عن مستوى الخدمات الطبية الذي يقدمونه.
- **إستفتاء فئوي محدد:** كأن يتوجه الإستفتاء لإلى طبقة العمال لمعرفة تأثير الغلاء على مستوى رواتبهم، أو عند الإستفتاء عن أوقات العمل.

د . بعد نهاية الاستفتاء، يتم جمع الاستمارات، والعمل على تصنيف الإجابات، وباستخدام التكنولوجيا الحديثة، مع الحرص على دقة النقل، والفرز.

هـ . يتولى أخصائيون بحسب نوع الاستفتاء وتوجهه، تحليل الإجابات وأراء الجمهور المستفتى، وقد تتضمن مفاجئات يتعين حسن فهمها. ونشرها دون تعقيب في الرأي، وإن حدث ذلك فينبغي أن يكون بصورة منعزلة عن الاستفتاء للحرص على شفافيته، وهذا يكون في تقرير خاص ومن ثم تضمين التقرير بعد عرض النتائج، رأي العلماء والإخصائيين حول هذه المشكلة أو تلك. وربما من المستحسن أن يتضمن التقرير ظروف الاستفتاء (إن وجدت) العراقيل والمفاجئات، ونسبة الإقبال على الاستفتاء، أو الأحجام، وتلك قد تكون بالغة الأهمية لمعرفة نسبة من يود أخفاء البيانات الخاصة، أو لأنها قد تسبب حرجاً اجتماعياً.

إذا نشر التقرير في وسائل النشر العامة، فسوف يستفيد منه أصحاب الشأن، أو تقوم المؤسسة التي أجرت الاستفتاء بتوزيعه على الجهات ذات العلاقة.

ثانياً: أسلوب المسوح :

ويتميز هذا الأسلوب بمميزات سلبية وإيجابية، والإيجابية منها هي أن يـتمكن مـراقبين أو مكلفين بإجراء المسح من مقابلة أفراد عياناً والوقوف على أرائهم بما في ذلك التي لا يتمكنون لأسباب شتى من الإفـصاح عنهـا. سـواء كانـت الأسـباب سياسـية أو الحظـر الاجتماعـي بـسبب العادات والتقاليد، أو لأسباب أخرى.

ويتمثل الجانب السلبي فيها، هي أنها تستغرق وقتـاً طـويلاً وجهـداً مـضاعفاً يتمثـل في إجراء مقابلات كثيرة قد تكون مضنية.

وهناك وسيلتان شائعتان في إجراء المسوحات في الرأي العام:

الأولى: استخدام المراقبين:

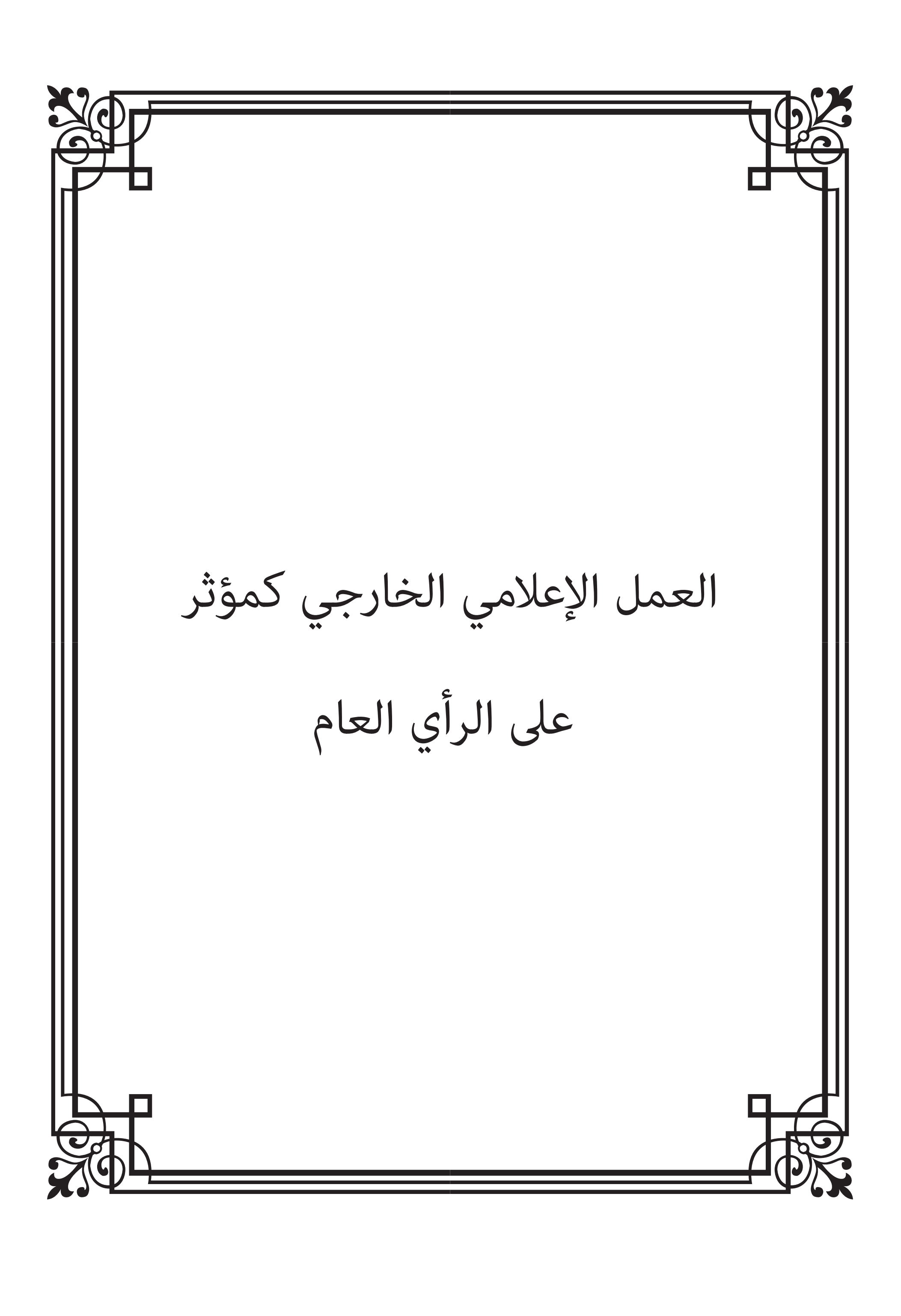
وهي وسيلة تتمثل في استخدام العديد من المـراقبين والمكلفـين بـإجراء المـسوح، يجـري بثهم في أوساط الجمهور والقيام بالمـسح إمـا بالتوجـه بالأسـئلة، أو مراقبـة الـسلوك الفـردي في المجتمع، أو مراقبة السلوك الجمعـي في حالـة مـن الحـالات ذات الطـابع الاجتماعـي والثقـافي، وقياس بأقرب ما يمكن من الدقـة لدرجـة الانعكـاس عـلى تـصرف الأفـراد، بمـا في ذلـك حـالات التعاطف والهياج، أو تقبل الشائعات، أو النكت ذات الطابع السياسي / الاجتماعي.

الثانية: وسيلة إجراء المقابلات الشخصية:

وتتمثل هذه بإجراء مقابلان شخصية مبـاشرة مـع شخـصيات مـسؤولة أو قائمـة بتنفيـذ مشروعات معينة للوقوف مباشرة على أرائهم، ومقارنتها مع نظـرائهم أو منتقـديهم وقـد تـصح هذه الوسيلة في حملات التنفس الانتخابي، أو في المشروعات الاقتصادية، والثقافية.

الثالثة: التحليل العام لمضمون ما:

ومن أجل الوقوف على وجهة نظر الجمهور حيال قضية ما، تقوم مؤسسة رصد وتحليل وهنا تتولى المؤسسات المولجة بالمهمة، إجراء مسوحات واسعة لتوجهات الرأي العام من خلال مراقبة طويلة المدى نسبياً وشاملة لوسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، على صعد شتى لملاحظة موقف الرأي العام حيال مسألة معينة.



العمل الإعلامي الخارجي كمؤثر

على الرأي العام

من المؤكد أن التطورات السياسية الدولية وآثار الثـورة العلميـة التكنيكيـة، طـورت مـن جهة ولكنها فرضت من جهة أخـرى مهـمات جديـدة عـلى الدبلوماسـيين والعمـل الـدبلوماسي، استلزم معه تطورات واسعة في البعثات الدبلوماسية للدول.

فما هي أبرز تلك التطورات ...؟

عين السيد بيير دي جيراردي عام 1686 سفيراً لفرنـسا في القـسطنطينية، وقـد أصـطحب معه خمسة عشر سيداً وسيدة لخدمة زوجته وسـكرتيرين أثنـين وطباخـاً وسـتين خادمـاً بيـنهم عشرة من الموسيقيين.[3]

وبطبيعة الحال فإن مثـل هـذا الكـادر لبعثـة سياسـية ودبلوماسـية يلقـي الـضوء عـلى نشاطاتها وفعالياتها في عالم دبلوماسية اليوم، مع العلم أن هذا التاريخ هو لاحق لتاريخ تأسيس وزارة الخارجية الفرنسية والتطويرات الشاملة في مجال بناء هياكل الدولة على يد ريشيليو عـام 1626 بستين عاماً..!

وتمنحنـا بعـض المـصادر أرقامـاً وإحـصائيات تـدل عـلى التطـورات في عمـل وحجـم البعثات المتزايد الذي اسـتدعى دون شـك زيـادة البعثـات وأعـضاءها مـن الدبلوماسـيين، التـي تعطينا دليلاً جديـداً عـلى أن الدبلوماسـية تتزايـد أهميتهـا وتتـضاعف مجـالات عملهـا. فعـلى سبيل المثال، فقد أرتفع عدد الدبلوماسيين في وزارة الخارجية الأمريكية مـن 963 موظـف قبـل الحرب العالمية الثانية إلى ستة ألاف دبلوماسي عام 1967، وارتفعـت ميزانيتهـا تبعـاً لـذلك مـن مليونين ونصف إلى أربعة وثلاثـين مليـون دولار، ولـنفس الفـترة أرتفـع عـدد دبلوماسـيي وزارة

الخارجية الفرنسية من 958 إلى 1500 دبلوماسي، والميزانية مـن مليـارين وربـع فرنـك إلى سـتة وعشرين مليار فرنك.

ومن المعروف أن الدول لم تكن تطلق قبل الحـرب العالميـة الأولى، وحتـى الثانيـة، عـلى رؤساء بعثاتها لقب سفير، وبدقة أكبر، لم تكن تفرط بمنح هذا اللقب، إنما كانت البعثات تسمى مفوضيات أو قنصليات عامة، وعلى من يقوم بمقام السفير "وزير مفوض " كرئيس بعثـة دائمـي، ولم تشهد الدبلوماسية ذلك التمثيل الواسع النطاق، وعلى مستوى الـسفارات والـسفراء إلا بعـد الحرب العالمية الثانية.

فعلى سبيل المثال، كان لفرنسا عـام 1914 (10) سـفراء ثـم تطـور هـذا الـرقم إلى (16) سفير عام 1939، وإلى (54) سـفير فقـط عـام 1952، وبلـغ عـدد الـوزراء المفوضـين (20) وزيـر مفوض فقط، ورفعت الولايات المتحدة درجة بعثاتها في أميركا اللاتينية إلى سـفارات عـام 1942، مع أهمية ساحة أميركا اللاتينية للولايات المتحدة، وبريطانيا لم يكن لها سـوى (8) سـفراء فقـط و(40) وزير مفوض، أرتفع عام 1953 إلى (46) سفير.

وبـالطبع تـشهد الأعـوام الأولى مـن الألفيـة الثالثـة(القـرن الواحـد والعـشرين) اتـساعاً ملحوظاً في عدد البعثـات، سـواء كـسفارات أو كقنـصليات عامـة، بـسبب ازديـاد حجـم الـدول المستقلة الذي تجاوز اليوم 180 دولة عما كانت عليه حين تأسيس منظمة الأمم المتحدة وكانت حينئذ تكاد تبلغ الخمـسين دولـة مـستقلة..! كـما أن تطـور مهـام الـسفارات إلى مهـام ثقافيـة وتجارية وصناعية وصحفية وعسكرية وعمالية(تعني بالأيدي العاملة المهاجرة).

وبينما كان يبلغ عدد أعضاء البعثة(ليس الدبلوماسيين فقط) ربما بين خمسين ومئة موظف في سفارات دول مهمة لدى دول تتمتع بثقل دولي وعلاقات ممتازة مع الدولة المؤسسة للبعثة، فيما يبلغ عدد موظفي بعض سفارات الدول الكبرى بالآلاف، ونلاحظ وجود أسواق خاصة ومدارس لأبناء الموظفين من دبلوماسيين وغيرهم، بل قرأنا مرة أن عدد موظفي ومستخدمي السفارة الأمريكية أحدى دول الشرق الأوسط، يربو على عشرة الآف شخص من دبلوماسيين وإداريين وعناصر فنية.

وبطبيعة الحال، فإن هذا التوسع الملحوظ في عدد البعثات الدبلوماسية وفي حجم الكادر الدبلوماسي(مع تقدم أجهزة الاتصالات، والأجهزة والمعدات المكتبية، وكفاءة الكادر)، وفي قيمته التمثيلية، وهو ما يكلف نفقات باهظة ليس عملاً لا طائل له، وإنما لضرورات أكيدة حكمتها التطورات في عالم العلاقات الدولية استوجب معه هذا التطور للدبلوماسية ولحجم الكادر الدبلوماسي تلبية لتوسع أعمال وحجم البعثات بما يناسب التطورات الاقتصادية والسياسية والعلمية والثقافية وتعميقاً للفوائد التي يمكن للبعثة الدبلوماسية أن تجنيها في عملها على أرض الدولة المضيفة، وإمكانية الاستفادة منها من خلال المصالح والفوائد المشتركة.

وقادت الحاجة الملحة إلى عدد كبير من الدبلوماسيين وإداريين إلى أن تقوم العديد من الدول التي يهمها رفع مستوى تمثيلها الدبلوماسي ورفع مستوى كادرها الدبلوماسي، لأن تؤسس تلك الدول معاهد لإعداد الدبلوماسيين، تتفاوت مدة الدراسة فيها من سنة إلى سنتين، وتعمد بعض الدول إلى ألحاق دبلوماسييها في دورات قصيرة ستة شهور/ عام في معاهد بحث داخل البلاد أو

خارجه، أو في المعاهد الدبلوماسية في دول صديقة، أو إخضاع دبلوماسييها إلى دورات مكثفة في موضوعات ترى وزارة الخارجية أهميتها.

ومن أبرز ما يؤكد أهمية العمل الإعلامي والمعلوماتي، في إطار التأثير على الرأي العام داخل البلاد وخارجها تأسيس الملحقيات الصحفية التي تسعى لهدفين أساسيين:

1. التأثير في أجهزة الإعلام في البلد المضيف.
2. نقل صور حقيقية صادقة عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والثقافية من البلدان المضيفة إلى مراز أعمالهم في الوطن.

وعلى هذا الأساس قامت ملحقيات صحفية في سفارات الدول المهتمة بالشؤون الإعلامية والرأي العام، وخصص لها موظفون أكفاء للنهوض بأعباء هذه المهمة.

مكتب الملحق الصحفي : ويرأس هذا المجال أحد موظفي وزارة الإعلام له خبرة بالعمل الصحفي والإعلامي، ويستحسن أن يجيد لغة البلد المضيف ومن أهم واجباته.

- الإطلاع التفصيلي على صحافة البلد المضيف لا سيما الصحف والمجلات البارزة التي تعكس أراء قطاعات مهمة من الشعب، أو تمثل الأحزاب الكبيرة والمهمة.

- يركز الملحق الصحفي في جرده لاتجاهات أجهزة الإعلام المكتوبة والمسموعة (صحف، نشرات، إذاعات، تلفزيون) ما يتعلق ببلاده أو الاهتمام المكلف به من وزارته، ومن المحتمل أن تكون:

أ- الأنباء والتعليقات عن بلاده ودرجة اهتمام أجهزة الإعلام والصحافة(هامش، صفحة أولى، أو ثانية، خط عريض ...الخ) في البلد المضيف بالتطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في بلاده وتقيمها لهذه التطورات.

ب- درجة الاهتمام التي تبديها أجهزة الإعلام في البلد المضيف لقضايا مهمة لبلاده، سياسية ثقافية، اقتصادية..الخ.

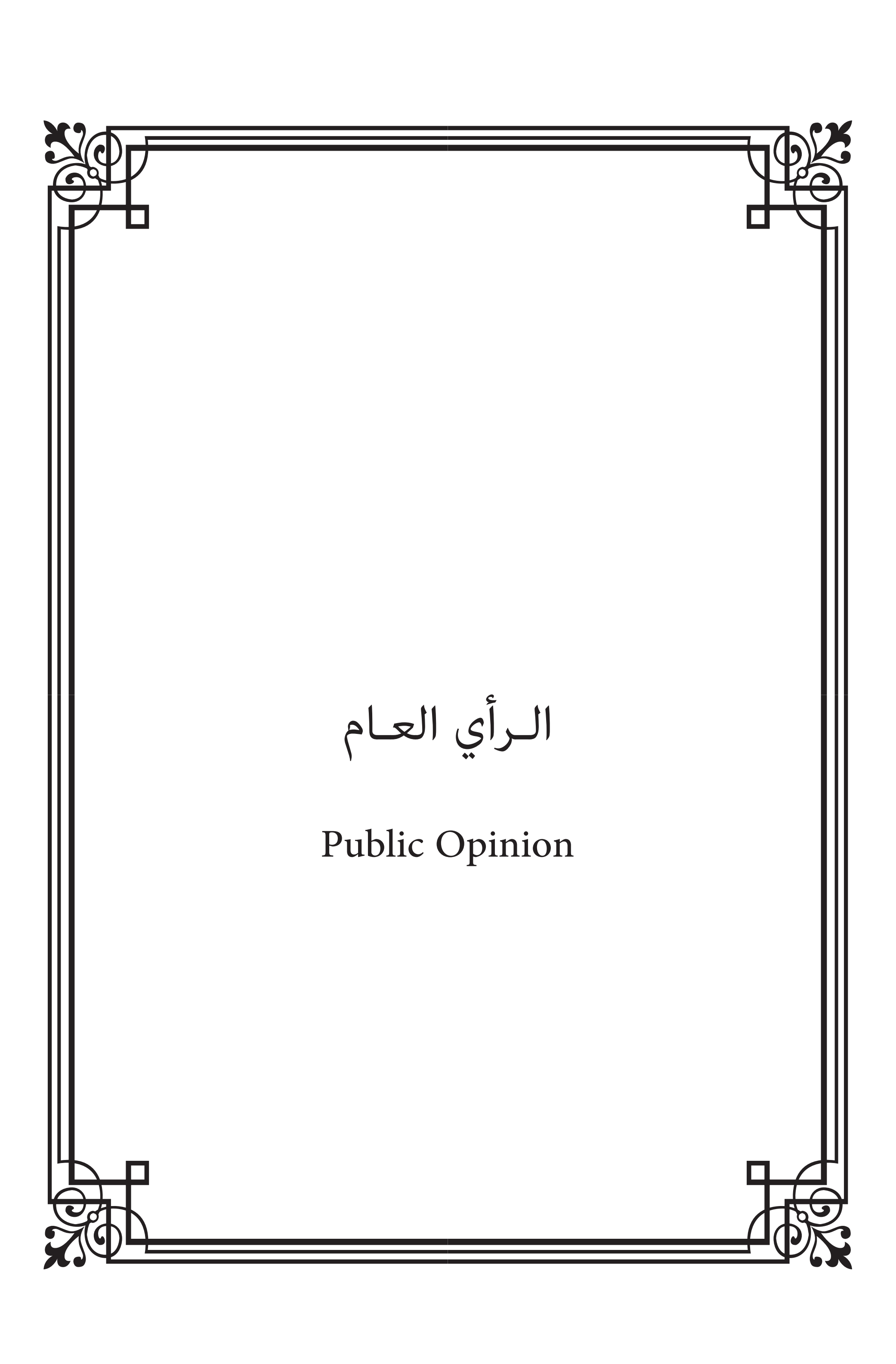
- قد يتمكن موظف صحفي نابه من تحليل معطيات غير مباشرة من خلال المراقبة الدقيقة للصحافة وأجهزة الإعلام، وقد يكون ذلك في قسم إعلانات مثلاً مصدر لهذه المعلومات، مثل إحصائيات تناول المشروبات الكحولية ونسب متناوليها، وإحصائيات الزواج والطلاق، ونسب المواليد الجدد، إحصائيات الانتحار..الخ التي تؤشر بمجموعها إلى مؤشرات اجتماعية وسياسية هامة.
- الاتصال الوثيق بأبرز المؤسسات الإعلامية وإقامة العلاقات الودية معها، وتقديم المعطيات السياسية والاقتصادية والاجتماعية الصادقة عن بلاده قد تكون مفيدة اشد الفائدة(لا سيما إذا كانت معززة بالوثائق والمطبوعات) من تقديم فكرة مفيدة عن بلاده لتلك المؤسسات والشخصيات ويحرص أن لا يكون مبالغ بها، دحضاً لأي ادعاء أو أفكار مشوهة تقدمها جهات لها مصلحة في الإساءة إلى بلاده.
- يعمل الملحق الصحفي بإمرة رئيس البعثة في التوجه نحو واجبات تخدم عمل البعثة وأغراضها.

وبالإضافة إلى البعثة والملحقيات، فقد تحتم الضرورة في دولة ما، أن يكـون لهـا مكاتـب فنية في أحدى بعثاتها، وغالباً ما تؤسس الدول مكاتب في دول أخرى كمكاتب خطـوط الطـيران المدني، مكاتب شحن في الموانئ الهامة، فروع لبنوك ومؤسسات مالية، مدارس لمختلف المراحـل، معابد دينية، معارض دائمة لمنتجاتها الصناعية والزراعية أو مرفقاً ثقافياً أو فنياً... الخ.

وهناك حقيقة مؤكدة، هي أن السفير والبعثة الدبلوماسية تمثل مجمـوع مـصالح الـبلاد في البلد المضيف، وكذلك كافة اتجاهات العمل والأهداف المتوخاة من مجمـوع هـذه الأنـشطة والفعاليات رغم تباعد اختصاصاتها. ولكن ذلك لا يخلـو مـشكلات ومتاعـب إداريـة. فـالإشراف الكامل وبمركزية شديدة يغرق البعثة ورئيسها بتفصيلات غير هامة ستكون حـتماً عـلى حـساب المهمات الرئيـسية ولكنـه يـشبع لـديها رغبـة الـسيادة والهيمنـة، كـما أن إفلاتهـا لتعمـل وفـق تصوراتها وهواها دون إشراف، قد يقـود إلى خطـأ وإلى مـا لا تحمـد عقبـاه. وقـد يحـدث ذلـك الخطأ بنية حسنة وبدافع الحماس للعمل مع ضعف في النضج والتبصر، بيد أن مزيجاً من هـذا وذاك، قد يكون كافياً لوضع الأمر في نصابها الحقيقـي. أمـا تلـك المكاتـب التـي تعمـل بالـصفة الدبلوماسية، فعليها دون ريب أن تضع نفسها تحت تصرف السفير المطلقة، وهذا ما تعمـل بـه معظم الدول باختلاف نظمها.

وتتمتع السفارات بحكم وجودها الرسمي والقانوني المعـترف بـه في الدولـة المـضيفة، وبأمتيـازات اتفاقيـة فيينـا للتبـادل الـدبلوماسي واتفاقيـات ثنائيـة عـلى قاعدة التعامـل بالمثـل، وكلهـا تـساهم في توسـيع فـرص الدبلوماسـيين في الحركـة والعمل بمعزل عن الظروف الخارجية التي تحيط ببناء السفارة، بيد أن ذلك لـيس

أمراً مطلقاً في جميع الأحوال، فالدول كالأشخاص ترتاب أحياناً بنوايا الدول الأخرى وبأهداف فعاليات البعثات التي قد تستخدم الإمتيازات الممنوحة لها بصورة غير قانونية وخارج المسموح به، فليس فقط أعمال التجسس أو الإثارة والتحريض وما شابه ذلك من قضايا ذات مساس بالأمن الداخلي للبلد المضيف بما يشكل تدخلاً في الشؤون الداخلية فحسب، ما يثير حفيظة الدوائر المعينة، بل وكذلك الأعمال التي تعد خرقاً لقوانين البلد المضيف سواء تمت بحسن نية أو بسوء قصد، فإنها ترصد بدقة ويتم تحذير بعثة ذلك البلد بلغة لطيفة ومهذبة، ولكن من الممكن أن يؤدي ذلك في النهاية في حالة تكرار المخالفات إلى الطلب بمغادرة الدبلوماسي الذي لا يجد رغبة في احترام قوانين البلد المضيف، وقد يقابل هذا الطرد إجراء مماثل من البلد المعني، وبذلك تتعقد الأمور وتمر سحابة سوداء في العلاقات الثنائية، من المستحسن تجنبها.



الـرأي العـام

Public Opinion

الرأي العام

تشتد أهمية ومكانة الرأي العام في العملية السياسية، داخلية كانت أم خارجية، وتتسع مكانتها لدى صناع القرار السياسي.

وتتجه الأنظمة في الزمن المعاصر إلى إيلاء أهمية أكبر للرأي العام وردود أفعاله، بل أن صناع القرارات أصبحوا يعتمون بالرأي العام حتى خارج بلدانهم، ويحسبون الحسابات المعقدة لردود أفعالهم.

وتبعاً لذلك، تزداد أهمية دراسات الرأي العام والإعلام والدعاية في كليات ومعاهد العلوم السياسية.

ـ ما هو الرأي العام.

الرأي العام هو حصيلة رأي أو فكرة أو حكم حول موضوعة أو شخص ما، أو واحدة أو مجموعة من الأفكار والموضوعات. وقد يشترك أعضاء في جماعة أو أمة في تكوين رأي موحد أو متشابه، وقد يكون هناك أسلوب أو أساليب لتنظيم وجهات النظر ودراستها ومعرفتها، لتشابه الموقف الاجتماعي أو الثقافي، وبذلك يكون الرأي العام هو من أهم أدوات التعبير العلني والصريح الذي قد يعبر عن وجهة قطاع واسع حيال قضية معينة في وقت معين، وليس بالضرورة أن يمثل الأغلبية. وقد يتشكل رأي عام وفقاً لعوامل التي تنشأ خلال تداول الجمهور لقضية ما، وقد تتضمن أحياناً عناصر عاطفية وانفعالية، وليس فقط عناصر عقلانية منطقية.

والرأي العام أيضاً، هو مجموع معين من الأفكار والمفاهيم التي تعبر عن مواقف مجموعة أو مجاميع اجتماعية حيال أحداث أو ظواهر من الحياة الاجتماعية، أو إزاء نشاط الطبقات والأفراد. وقد يكون أيضاً حصيلة لأفكار ومعتقدات ومواقف الأفراد والجماعات إزاء شأن من شؤون تمس النسق

الاجتماعي كأفراد أو منظمات ونظم والتي يمكن أن يؤثر في تشكيلها من خلال عمليات الاتصال التي قد تؤثر نسبيا أو كليا في مجريات أمور الجماعة الإنسانية على النطاق المحلي أو الدولي، وقد تقود مواقفهم إلى التأثير السلبي أو الإيجابي على الأحداث بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في لحظة معينة من التأريخ.

والرأي العام في الأصل مصطلح غربي شاع استخدامه من قبل الأنظمة السياسية الغربية "الديموقراطية " التي كان يهمها الرأي العام لتحقق مصداقية الادعاء بأن أنظمتها تعبر عن رأي الأغلبية، ويمكن تأشير بداية القرن الثامن عشر كبداية لاستخدام هذا المفهوم، رغم توفر ما يماثله أو يشبهه في معناه العام، وقد ورد في الكتابات الفلسفية المتعلقة بالشؤون السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

وتتوفر لهذه العملية ظروف أكثر نجاحاً، في المجتمعات التي تتمتع بالحريات السياسية والتعبيرية، التي تيسر سبل الاتصالات الجمعية وتوفر سائر الشروط الصحية لبلورة الرأي، وبناء على ذلك فقد يتعرض تكوين الرأي العام للضعف في المجتمعات تحت الأنظمة الاستبدادية.

ـ ملاحظات حول الرأي العام:

في مقدمة توضيحية لأهمية الرأي العام ودراسة سبل تشكله، نشير للملاحظات التالية:

1 . إن الرأي العام الحر لا يتكون بآليات مصطنعة، وإن حدث ذلك بفعل إعلام موجه مضاد، فالرأي العام المتشكل بناء على معطيات خارجية دخيلة على الجمهور، فإن عمر تلك الأفكار لم يكون طويلاً، وإن الجمهور سيكتشف الحقائق في نهاية المطاف.

الرأي العـام الحـر يتكـون تـدريجياً وبـبطء قـد يكـون شـديد في بعـض الأحيـان، إلا أن الجمهور يتوصل لرأي عام ويغدو أشبه بالبديهيات في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

2. الرأي العام يتكـون في اتجاهـات شـتى، وليـست حكـراً عـلى الموضـوعات الـسياسية، فالرأي العام لدى الجمهور قد يتناول موسيقى شعبية، يدافع عـن أصـولها وجـذروها، أو ضرب من ضروب الرياضة.

3. الرأي العام يتشكل بصرف النظر عن الموقـف الفئـوي أو المـصلحة الطبقيـة، وبـذلك يكتسب قوة مضافة، وجذراً شعبياً عميق الجذور.

4. للرأي العام قوة أخلاقية قبل أن تكون قانونية / دسـتورية، وبـالرغم مـن حقيقـة أن الرأي العام ليس بالضرورة تمثيله الرأي الأكثر صواباً أو الحل الأكـثر علميـة، إلا أنـه يمثـل وجهـة نظر كبيرة، لابد من الإطلاع عليها ودراستها.

5. ينبغي ملاحظـة أن الـرأي العـام شـديد التـأثر بالأحـداث اليوميـة وقابليتهـا للتحـول بدرجات صغيرة أو كبيرة، ويتعاطف الجمهور مع القضايا ذات الطابع الإنساني.

6. الحريات الديمقراطية، وحرية انتقال الأفكار ووسائل الإعلام والثقافة الحرة، تؤدي إلى جمهور ذكي وواع، لا يسهل اختراقه من قوى أجنبية، جمهور يكون ويشكل الـرأي العـام بـصورة متوازنة مع المعطيات المؤثرة.

ـ عناصر الرأي العام:

هناك الكثير مما يمكن وضعه في عداد عناصر الرأي العام، إلا أن الباحثون يضعون أربعة عناصر في مقدمتها باعتبارها رئيسية، لكن دون تجاهل العناصر الأخرى، واعتبارها عناصر ثانوية.

1. **الجمهور:** وهم العنصر الرئيسي لأنهم يمثلون عماد وقوام الرأي العام، الذين يلتفون حول فكرة أو مصلحة معينة.
2. **القيم والتقاليد المشتركة:** وهي ما تمثل البيئة بمفرداتها التي يعيش فيها الجمهور، وتتضمن: العقائد الدينية، والمشتركات الثقافية، والعادات الاجتماعية.
3. **الأوضاع التاريخية التي يعيشها الجمهور:** وهي الظواهر البيئية، والمناخية، والمحن والكوارث التي تقرب وتخلق تصورات مشتركة.
4. **السلوك الاجتماعي وأشكاله:** وهي ما تنجم عنه مؤثرات شتى، فيطبع سلوك الأفراد مما ينجم عنه سلوك الجمهور، وقد تكون المؤثرات دينية أو قومية أو وطنية.

ـ العناصر المؤثرة على تكوين الرأي العام:

من العناصر المؤثرة على تشكل الرأي العام في المجتمعات وإمكانية مساهمتها في تكوين الرأي العام، تتمثل الأساسية منها:

1. السمات الوراثية وانعكاساتها على سلوك الأفراد.
2. شكل الأنشطة الدينية، ومفرداتها الثقافية.
3. طبيعة العلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية السائدة في المجتمع.

4. الميزات الذاتية للفرد والجماعية المتكون عبر موروثات كثيرة والمنعكسة في التقاليد والمناخ الثقافي.

5. مستوى وسائل الإعلام المرئية والمقروءة والمسموعة ومساحة الحريات التي تتمتع بها، ودرجة نضجها.

وتتفاوت هذه العناصر بين مجتمع ولآخر، بل وبين مرحلة وأخرى في نفس المجتمع، وبالتالي تتفاوت درجة تأثر الأفراد بها، وتؤثر في شكل وصفات الرأي العام المنبثق من هذه المعطيات.

ـ أنواع الرأي العام:

للرأي العام عدة أنواع، وهي بحسب الزمن الذي يستغرق تكونه، والمدة الذي تتواصل فيه، وطبيعة الرأي العام من حيث حدته، ومن ذلك:

- **الرأي العام المتكون عفوياً:** وهي أقرب ما تكون لردة فعل ذات طابع جمعي عام، حيال قضية آنية الحدوث، وقد يتطور إلى تيار راسخ، أو يتلاشى بزوال الأسباب الباعثة عليه.
- **الرأي العام المتكون بحالة وعي:** وهي على الأغلب حالة ذات طابع اجتماعي شمولي، أو قضية وطنية، أو تلك التي تمس حياة الجمهور، ولها آثار عميقة، والوعي الاجتماعي يترتب عليه مواقف سياسية، وقد يتحول في حالة ذروة بلورته لتيار شعبي عارم، إلى إحداث تغيرات قد تكون مهمة في الهياكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية.
- **الرأي العام ذو ردود الأفعال سلبية أو ضعيفة:** وهي تكون إما بسبب أن البواعث لا تستحق حالة هبوب جمعية، أو أن تواجه حالة تبلور الرأي العام بإجراءات مضادة، أو كونها طارئة بحدث عرضة للزوال والتلاشي.

- **الرأي العام الكلي:** وهو ما يتصل بالدين والأخلاق العامة والعادات والتقاليد.
- **الرأي العام الظاهر:** وهذه تتكون في البلدان الديمقراطية أو تلك التي تتيح بدرجة معقولة من حرية الرأي بلورة أفكار وأراء عامة لدى الجمهور حيال قضية من القضايا ذات الطابع الجمعي.

ـ أهمية معرفة الرأي العام:

تتجه المجتمعات إلى اعتبار الرأي العام وتنوع أساليبه وقياسه واحدة من الوسائل الضرورية التي تلقي الضوء على اتجاهات الجمهور، الذوق والمزاج العام، الطلب لسلعة، أو منتوج معين، درجة التعاطف مع مسألة معينة، إذ تتجه الأنظمة السياسية إلى إبداء احترامها لرغبات الجمهور وتهدف لكسب تأييدها، لا سيما أن الاستطلاعات ليست حاسمة في نتائجها، بل تلقي الضوء على ما قد يسفر عنه استفتاء رسمي مقبل.

ومن أهمية معرفة الرأي العام هو أن الكثير من المؤسسات الاقتصادية / الصناعية تلجأ لمعرفة رأي الجمهور وتعتبره ضرورة لخطط تطوير المنتجات، أو تقديم خدمات إضافية للجمهور، ودرجة قبول الجمهور لأنشطتها. والوقوف على الرأي العام يعود بمنافع دفع الجمهور للمشاركة في صناعة القرار وتكوين الأفكار الضرورية للتطوير.

ومن الجوانب الضرورية في المعرفة المسبقة للرأي العام، هو منح القيادات: السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، الإدارية القدرة على التنبؤ بدرجة

أقـــرب للـــصواب، في معرفـــة توجهـــات الـــرأي العـــام، واحـــتمال تـــسليط المـــؤثرات عليها.

ـ أهداف الاستطلاعات:

ينطوي الاستطلاع على أهداف عديدة الأهم منها:

1. توفير المعلومات الضرورية لصناع القرارات .
2. الإطلاع على أمزجة الجمهور حيال قضية من القضايا.
3. زج أكبر عدد من الجمهور في صياغة رأي عام وقرار (لاحقاً).
4. تـوفير معطيـات تتـيح للقيـادات الـسياسية والإداريـة معرفـة المتغـيرات لـدى الجمهور.

وتتفاوت أهداف الاستطلاعات من واحـدة لأخـرى، وقـد تكـون لاختبـار ذوق الجمهـور حيال برنامج تلفازي، أو ردود فعله لقضايا سياسية هامة. ولكـن الاسـتطلاعات بـصفة عامـة إذا أقيمت بدقة، تمنح الجهة الطالبة للاستطلاع معلومات هامة قد تكون مـن بـين معطيـات قـرار سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي هام.

ـ قياس الرأي العام وأساليبه:

هناك العديد من الأساليب للوقوف على رأي الجمهور حيال قضية أو أكـثر مـن القـضايا في مختلف النواحي: سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية، بيد أن هناك مـن الأسـاليب الأكـثر شيوعاً وانتشاراً، هو الاستبيانات بسبب سهولتها، وإمكانية شمولها على أكثر عدد مـن الجمهـور وبفئات عمرية ودراسية واجتماعية / مهنية مختلفة.

ومن المؤكد أن أسلوب ودقة صياغة الأسئلة، له الأثر الفعال في التوصل لنتائج دقيقة قدر الإمكان، لا سيما إذا كانت استمارة الأسئلة تنطوي على معطيات دقيقة وتأشيرات تمنح الاستفتاء مصداقية أكثر، كأن تشتمل على:

1. عمر المشارك في الاستفتاء.
2. مستواه الدراسي.
3. المستوى المعيشي.
4. مهنة المشارك.

وربما تكون هناك أسئلة أكثر تفصيلاً، بحسب هدف الاستفتاء، لتشتمل على جنسيته، ومنطقة السكن، وربما ديانته، أو قوميته....الخ. وتساهم المعرفة الأكثر دقة الدراسات والتنبؤات لمعرفة ما يشعر به الجمهور وما يحتاجه فعلاً، ولهذا السبب تتواصل الدراسات والابتكارات في مجال المعرفة المبكرة بتوجهات الرأي العام.

ـ آليات التوصل لرأي الجمهور:

الاستطلاع: وهو غير الاستفتاء، في شكله ومحتواه ونتائجه، فالاستطلاع يحتمل الإجابة على سؤال معين، بنعم، أو لا، أو لست متأكداً، أو ربما، ونتائج الاستطلاعات ليست ملزمة، بل هي استثنائية.

الاستفتاء: هي عملية تقوم بها جهة رسمية، ويتخذ على نتائجها قرارات كانت الغاية منها معرفة رأي الجمهور بدقة تامة، لذلك ربما تطرح يتطلب الإجابة على الأسئلة بنعم أو لا، كأن يكون شأن هام تطرحه الحكومة على

المواطنين للوقوف على رأيهم بدقة تامة، كالانتخابات النيابية، والتصويت على الدساتير أو تعديلها، أو على قرارات بالغة الأهمية.

ـ الاستبيان:

هي وسيلة شائعة لسهولتها، ولعدم الإلزام بنتائجها، إلا أنها مؤثرة في الرأي العام بعد نشر نتائجها، وهي التوجه نحو الجمهور عبر وسائل مختلفة، قد تكون عن طريق مراسلين يكلفون بجمع أراء الجمهور، أو عن طريق الصحافة، ولا تشترط ذكر الإسم ومعطيات شخصية، لذلك يميل المستطلع إلى الإدلاء برأيه بصراحة أكثر.

ـ الإدلاء بالرأي مباشرة:

يتقدم مجموعة من الباحثين، عشوائياً، أو بالتحديد لقطاع معين، كالطلبة، يسجلون خلالها الإجابات على أسئلة محددة، لغرض الحصول على معلومات أو معطيات بهدف تطوير منهج معين.

ـ الاستبيان عن طريق الحاسوب:

هو أسلوب بدأ يشيع في أوربا، تقوم مواقع عديدة في الانترنيت، بالتوجه لمستخدمي الحاسوب والانترنيت بأسئلة عن طريق سؤال واحد أو أكثر، والإجابة عليه بنعم أو لا، أو لست متأكداً، أو لا أعلم، بطريقة آلية سهلة، أو تقدم لمطالعي الانترنيت صفحة أو أكثر استبيان بأسئلة تكون مصاغة بدقة للتوصل إلى هدف الاستبيان.

وقد يشعر مستخدم الانترنيت فوراً بنتيجة وضع صوته، ويستمر التصويت ليـوم واحـد، أو لعدة أيام. ويمنح الأفراد إشارة قد لا تكون دقيقة جداً، ولمنهـا مـؤشر لا يخلـو مـن الأهميـة، ومثال واضح على ذلك، نتائج الاستبيانات التي تجريها مواقع صحف المقدمـة الالكترونيـة عـلى الانترنيت حول: توافق أو لا توافق عـلى وجـود الجـيش الألمـاني في أفغانـستان ؟ والإجابـة غالبـاً تفوق 80% بعدم الموافقة، ويعقبـه سـؤال: هـل توافـق عـلى سـحب فـوري أو تـدريجي لتلـك القوات، والنتيجة هي غالباً لصالح السحب الفوري للقوات الألمانية بنسبة لا تقل عن 65%.

والحكومة الألمانية والبرلمان الاتحادي وإن كان لا يعتبر نتائج هذه الاستبيانات ملزمة له، إلا أنها مؤثرة في تكوين رأي عام مناهض للحملة العسكرية في أفغانستان.

ـ القوى المؤثرة في الرأي العام:

هناك قوى عديدة تؤثر في تشكل الرأي العام، معنيون هنا بأهم تلك المؤثرات ومنها:

1. الأحزاب السياسية:

الأحزاب السياسية أدوات مؤثرة بصفة رئيـسية في الـرأي العـام، سـواء تلـك المعـبرة عـن فئات اجتماعية منها، أو أحزاب تتعاطى العمل الوطني والقومي.

2. المؤثرات الثقافية:

ويؤثر التراث الثقافي بأشكاله وأبعاده المختلفة في تكوين الرأي العام، ويتمتع بدرجة ما بالثبات، بوصفها من الموروثات المكونات الشعبية المستديمة، ولا تتراجع أهميتها إلا بحقب زمنية طويلة، وببطء.

وعلى العكس منها في الموضوعات العاطفية العابرة، يتكون منها الرأي العام المؤقت، أما الرأي العام الموجه بهدف التضليل فهو الذي يتكون بتأثير الدعاية والشائعات، وهو ما بتحقق في مجتمعات تفتقر إلى الوعي والإعلام الحر الذي يواجه التضليل.

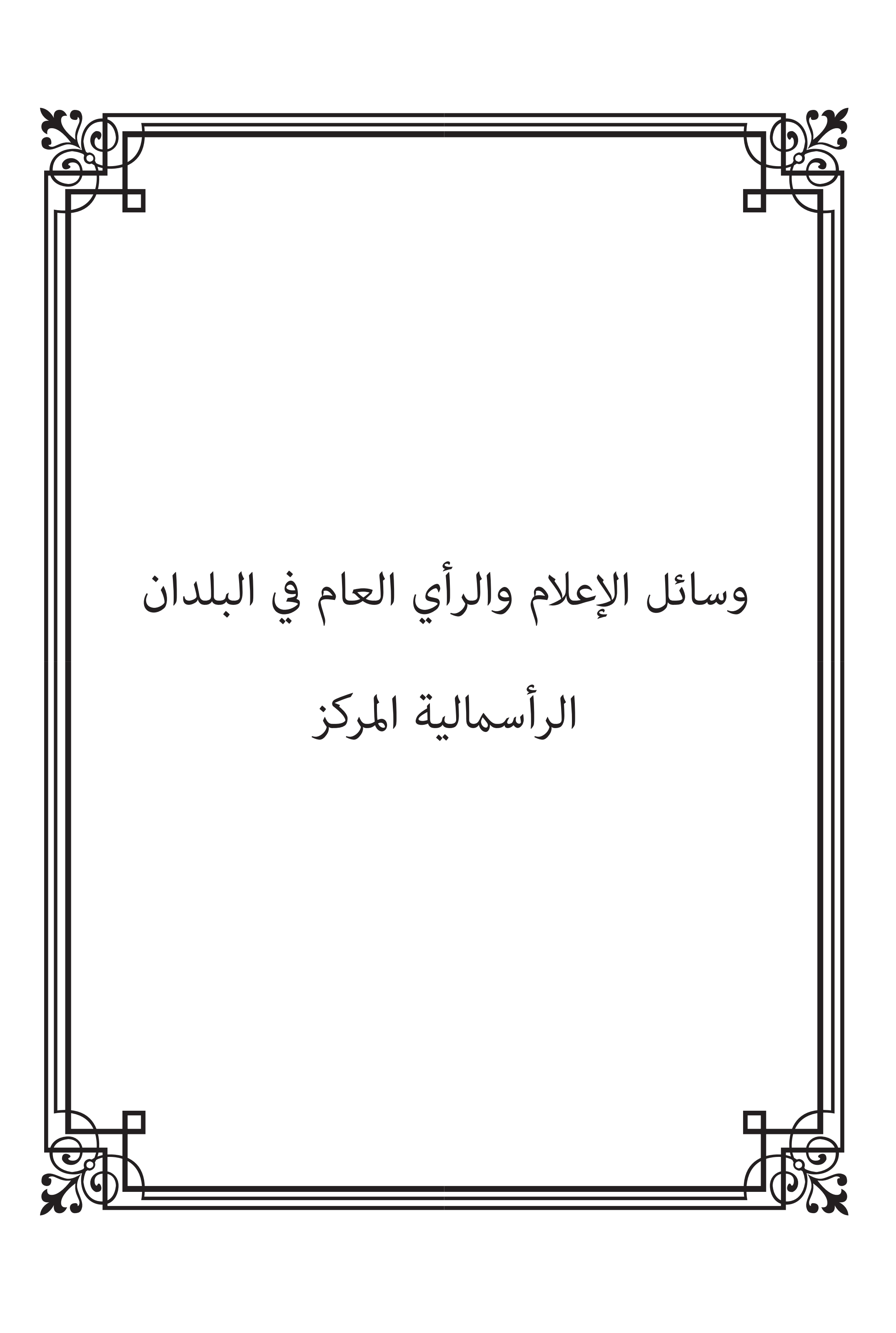
3. الزعامات السياسية والاجتماعية.

4. جماعات الضغط:

هي تكتلات تمثل مصالح اجتماعية واقتصادية، وقد يكون لممثلي هذه الجماعات صحافة توجهها، ومحطات إذاعة وتلفزة، تمارس الضغط على صناع القرارات والدولة من أجل صيانة مصالحها.

5. الدولة:

تؤثر الدولة وتتأثر بموقف الرأي العام، لا سيما في الأنظمة الديمقراطية البرلمانية، ذلك أن استطلاعات الرأي العام لها فاعليتها في الانتخابات البرلمانية، والتفاعل يجري في المرحلتين تأثراً وتأثيراً، إذ أن خطط الدولة وبرامجها السياسية والاقتصادية لها تأثيرها على الرأي العام.



وسائل الإعلام والرأي العام في البلدان الرأسمالية المركز

أجهزة الإعلام

تمثل وسائل الإعلام السمعية والمرئية قلاعاً ضخمة لمصلحة القوى المسيطرة على المجتمع الرأسمالي، بل وفي بعض الدول الرأسمالية يحظر على العناصر السياسية المعادية للرأسمالية العمل في أجهزة الإعلام، وتدير أجهزة الإعلام احتكارات مالية ضخمة، فهي إذن مجال للاستثمار وجني الأرباح بدرجة رئيسية أيضاً.

وقد تسللت البراغماتية إلى فلسفة الإعلام أيضاً، ويعبر عن ذلك العالم الأمريكي جون نيف بقوله: منذ أن ظهرت الصور المتحركة والمجلات المصورة والراديو والتلفزيون في النصف الأول من القرن العشرين، شاعت فكرة مؤداها أن مستوى النجاح مرهون بعدد القراء والمشاهدين، وهكذا أزداد توجه وسائل الإعلام إلى تلبية طلبات ذوي المستويات الثقافية المتدنية والأفق الضيق بحجة أن هذه هي الوسيلة الأنسب لزيادة الأرباح، وهكذا ابتدع أصحاب الصحف ورؤساء تحريرها أناساً يتصفون بالفراغ والابتذال واللامسؤولية والشهوة " .

وإذا كان عصر النهضة قد بهر الناس قبل كل شيئ بالأدب والفنون والموسيقى فإن ذلك بدأ بالتلاشي في الحقب اللاحقة. إلا أن عصر الرأسمالية الاحتكارية وفي ذروة تطوره في عصرنا الراهن، امتدت لتعمل على ترويج ثقافة سطحية وآداب وفنون غير إنسانية المغزى والهدف، وذلك لم يأت دفعة واحدة بل " أن تطوراً أستغرق عقود كثيرة بفعل نمو المجتمعات الرأسمالية التجارية، ومن ثم التأثيرات الواسعة النطاق على أخلاق الناس ومبادئهم وقيم الحياة

بفعل الثورة الصناعية، جعلت منهم يتخلون عن العوامل الروحية والمعنوية والأخلاقية، لتسود أخلاقيات جديدة ".

يعرض ذلك بشكل مثير للأسف العالم الأمريكي نيف في دراسة أعدها بجامعة هارفارد عن نشأة الحضارة الصناعية، ويتوصل إلى نتيجة محزنة إذ يقرر أن هكذا أستسلم أدباء وفناني القرن العشرين إلى مسيرة الزمن بدلاً من محاولاتهم في صنع التاريخ كما فعل أسلافهم العظماء في القرن التاسع عشر.

وكانت محصل ذلك ونتيجته، تغليف العقل وتجريده من إنسانيته بوسائل متعددة إلى أن وصل لدرجة العجز عن تقديم خدمة للإنسانية والعجز عن تخليص الناس من أسر الدعاية وأساليبها، فشاعت عادات التعري وانهيار تقاليد السلوك المهذب.

ويستطرد المؤلف في عرضه ليقرر " ومع ازدياد فروع المعرفة عند بداية القرن العشرين، انقلبت الحالة رأساً على عقب، حيث أصبح أفضل ما يمكن أن يقدمه التعليم والفن والأدب في متناول طبقة خاصة من الجمهور، أما عامة الناس، وقد أصبحت الأكثرية الساحقة، فإن اهتمامها الأساسي انصب على أنواع الكتابة الغوغائية والمبتذلة والسطحية. بل وصل الأمر إلى شيوع أنواع من الكتابة البذيئة ظهرت تحت ستار من النصوص غير الجادة لكي تتملص من الرقابة الشديدة التي أنشأت حديثاً، وهكذا عولج كل ما هو مخجل، وأخفيت حقيقته حتى صار شيئاً محترماً " .

ومن المستبعد والحالة هذه، أن تتمكن دور نشر ناشئة مـن إثبـات وجودهـا في مجـال النشر والإعلام، فالأمر يتعلق بإستثمارات تتجاوز مئات الملايين من الدولارات، فعلى سبيل المثـال لا الحصر، فإن دار نشر هولندية واحدة، حققت عام 1990 مدخولاً يبلغ 1،2 مليـار دولار، فلنـا أن نتصور كم هي مداخيل دور النشر الأمريكية والبريطانية والألمانية العملاقة.

وهناك العديد منها تتولى إصدار الصحف والمجـلات والكتـب في آن واحـد مثـل احتكـار أكسل شبرينغر في ألمانيا، والحلقات متممة لبعضها في الحياة الرأسـمالية، لـذلك فـإن الإعـلام في الدول الرأسمالية هو في واقع الأمر تعامل تجاري يومي بحت، يهدف إلى تحقيق الأربـاح لـذلك فإننا لن نجده في نهاية المطاف بعيداً عن التناغم مع باقي المؤسسات الرأسمالية.

ويصف الكثير من علماء الاجتماع في البلدان الرأسـمالية، مـواطني بلـدانهم بالـسطحية، وضعف التكوين الثقافي، سريعي التأثر والتقبل لما تنشره وسائل الإعلام بأسـاليبها المتقدمـة عـبر خبرة تكونت خلال قرون عديدة في العمل الإعلامي، بل أن هناك قاعـدة في العمـل الإعلامـي في الولايات المتحدة، تـنص: " إن الإعـلام يجـب أن يـصاغ لا لـكي يطـابق الحقيقـة، بـل أن يطـابق الاعتقاد الموجود لدينا ".

لذلك فإن أجهزة الإعلام شـديدة التـأثير عـلى اتجاهـات الـرأي العـام، وفي البلـدان الرأسـمالية المتقدمـة تقـوم تلـك المؤسـسات الإعلاميـة بإسـتفتاءات وإحـصائيات تقـوم بنـشرها عـن اتجاهـات الـرأي العـام وشـعبية المـسؤولين الرسميين من رجال الدولة والسياسة والأحزاب الرئيـسية، وتنـشر أو تحجـم عـن

نشر الحقائق الاجتماعية أو تحريفها، أو بنشر ما يسمى في الدول الغربية (نـصف الحقيقـة) أي طي وتحريف أو إغفال النصف الآخر من الحقائق، وقد يكون النصف الأهم.

وقد أتاحت ثورة التكنولوجيا الفرصة لامتلاك محطـات إذاعيـة وبـث تلفزيـوني للقطـاع الخاص (محطات تبث عن طريق القابلوات) فأمتلكت الشركات وسائل إعلام خاصة بها، وهكذا تسيدت الساحة الإعلامية.

وعلى صعيد الأنباء مثلاً، فإن 4 وكالات أنباء أمريكية وفرنـسية وبريطانيـة تـسيطر عـلى 80% من حركة تداول الأخبار في العالم، والباقي 20% يتوزع على أكثر من 160 وكالة أنباء، وهي مكرسة ليس لخدمة الرأي السياسي، بل إنها تعمل على تكـوين وعـي ثقـافي وفنـي ومحـذورات اجتماعية وأخلاقية، حتى أنها تسعى لامتلاك ضمير الإنسان وليس وجوده المادي فحسب.

مؤسسات البحث العلمي للرأي العام.

تتمتـع بعـض مؤسـسات البحـث العلمـي بتقـدير الـرأي العـام في بلـدانها وبإسـتعداد الجمهور والمؤسسات، تقبل وجهـات نظرهـا مثـل معهـد بروكينـز، وجامعـة هارفـارد، وجامعـة جورج تاون في الولايات المتحدة، وأكسفورد وكـامبرج ومعهـد الدراسـات الإسـتراتيجية في لنـدن، ومثيلاتها في الدول الرأسمالية الأخرى.

وتتمتع هـذه المراكـز العلميـة بالثقـة والرصـانة قياسـاً إلى غيرهـا وبإسـتخدامها لأفـضل القدرات العلمية والأكاديمية، إلا أنها من جهة أخرى تتلقى إعانات سخية من المؤسسات الماليـة والصناعية من أجل قيام هذه المراكز العلمية بمواصلة عملهـا في إقامـة جـرود شـاملة أو جزئيـة لقدرات البلدان التي يتجـه إليهـا الرأسـمال الأمـريكي ودراسـة الإمكانـات الحاليـة والمـستقبلية للاستثمارات الأمريكية، فهي بذلك ليست بعيدة عن الأهداف الإسـتراتيجية لحكومـات البلـدان الرأسمالية، بل هي في خدمتها.

كما أن المراكز للعلوم التكنولوجية هي في خدمـة الـصناعيين، فـإن مراكـز الأبحـاث هـي الأخرى تؤدي ذات الأهداف ولكن بأساليب مختلفة، وقلما وجدنا أو قرأنا إدانة للفعاليات التي قام بها الاستعمار في البلدان النامية، أو دعوة إلى تقلـيص نهـب العـالم الثالـث، أو مـساعدته في تجاوز مشكلات التنمية.

فهرس المحتويات

محاضرات في
الإعلام والرأي العام

هذا الكتاب مجموعة من المحاضرات لطلبة الدراسات العليا في العلوم السياسية وفي مجال الإعلام. وبعض هذه المحاضرات مترجم، والأخرى مؤلفة من قبل واضع الكتاب ومترجمه. وهي محاضرات منتقاة نأمل أن تكون عونا للدارسين في مجال الإعلام والرأي العام

ـ الكتب المطبوعة :

1. المقدمات السياسية للاستقلال الوطني في العراق، (أطروحة ماجستير باللغة الألمانية / لايبزغ / ألمانيا).
1977 Die Politischen Voraussetzungen der Natinalen unabhängigkeit des Irak. Leipzig.

2. سياسة التوسع الأمريكية في الشرق الأوسط، (أطروحة دكتوراه باللغة الألمانية / لايبزغ / ألمانيا).
1981. Die Expansionspolitk der USA im Nahenosten, Leipzig

3. حرب فوكلاند: الأبعاد السياسية والاستراتيجية للصراع البريطاني الأرجنتيني حول جزر فوكلاند. بيروت ـ بغداد / 1985، المؤسسة العربي للدراسات والنشر.

4. قوة العمل الدبلوماسي في السياسة: دار آفاق عربية للصحافة والنشر، بغداد / 1985.

5. قضايا الأمن القومي والقرار السياسي: الدار الوطنية للنشر والتوزيع، بغداد / 1986.

6. تطور نظريات الحكم والسياسة العربية: جزءان: العصر القديم والوسيط، بغداد / 2006.

7. تطور نظريات الحكم والسياسة العربية: العصر القديم (نشر كمسلسل في مجلة البلاد)، تورنتو / كندا، 2007

8. أشهر الخطابات في تاريخ العرب والإسلام، دار ضفاف / دبي / الأمارات المتحدة، 2013.

9. الاستهلال والاستكمال: دراسة مقارنة الفكر السياسي الرافديني / الاغريقي، دار ضفاف / دبي، 2014..

10. الاستهلال والاستكمال: دراسة في الفكر السياسي المقارن، العربي الإسلامي/ المسيحي الليبرالي، دار ضفاف، دبي، 2014

10. الحرب الأهلية الأسبانية: (ترجمة) تأليف زيجفريد كوكلفرانتز، دار ضفاف / دبي . 2014

11. قمر أبو غريب كان حزينا: شهادة في التاريخ العراقي الحديث، دار ضفاف / دبي . 2014.

12. محاضرات في الإعلام والرأي العام : محاضرات، دار الأكاديميون / عمان/ المملكة الأردنية الهاشمية 2015.

13. مباحث في الفكر السياسي الإسلامي، دار الأكاديميون / عمان / المملكة الأردنية الهاشمية 2015.

14. محاضرات في العلوم السياسية: دار الأكاديميون / عمان / المملكة الاردنية الهاشمية 2015

15. نظام الخلافة العربي الإسلامي: دار الأكاديميون/ عمان / المملكة الأردنية الهاشمية 2015.

16. الشرق في عيون الغرب: (ترجمة وإعداد)، دار الأكاديميون / عمان / المملكة الاردنية الهاشمية 2015.

17. حقيقة الاشياء : (ترجمة)، دار الأكاديميون / عمان / المملكة الأردنية الهاشمية 2015.

ـ الكتب المنشورة في المواقع الالكترونية :

1. مذكرات تحت المقصلة : يوليوس فوجيك (مترجم) الكتاب العراقيين، الولايات المتحدة / 2009

2. تطور نظريات الحكم والسياسة العربية: موقع المتوسط / لندن 2011

3. استخدام القوة المسلحة في العلاقات الدولية: موقع البلاد، تورنتو / كندا / 2013





الرمال للنشر والتوزيع

الأكاديميون للنشر والتوزيع
عمان - الأردن
تلفاكس: 5330508 6 962+
E.mail.academpub@yahoo.com